علم النفس السياسي

اعداد
الاستاذ الدكتور/ سمير سعد خطاب

استاذ ورئيس قسم علم النفس
كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى

DO NOT COPY

إهداء

الى أمر ربى ووصيته ؛ الى والديَ ....

الى ولديَّ احمد وسعد ...

DO NOT COPY

تـصديـر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، إمام الأنبياء، وخاتم النبيين وأفضل المرسلين، سيدنا مُحَمَّد ,وعلى اله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد....

لعل مقدمات ثورة المصريين في يناير ٢٠١١ كانت واضحة للعيان منذ بداية الالفية الثانية والدراسة الحالية قمت بها في عام ٢٠٠٠، اذ باتت النذر تشير الى تأزم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واصبحت أحوال الناس لا تطاق، والنتيجة المنطقية – التى تجاهلها النظام السياسي انذاك – هى تحرّك الجماهير لتغيير الأوضاع تغييرا جذريا، فالأمر إذن ليس يقظة مفاجئة للجماهير من بيات شتوي، إنما هو نتاج تراكمات استغرقت ما يربو على أربعة قرون. وتمثلت هذه التراكمات في عدة عوامل ، منها حدوث فجوة بين الخطاب السياسي والواقع، فما تعرضه وسائل الاعلام من صورة مشرقة عن انجازات اقتصادية واجتماعية لا وجود له، مما جعل هناك أزمة ثقة ومصداقية في خطاب السلطة وجعل المواطن ينقم على الأوضاع عامة، ويخرج في حركات احتجاجية. أضف إلى ذلك الاحتكار الكامل للحزب الحاكم للسلطة ، صاحب ذلك ضعف القوى الحزبية وعدم تعبيرها عن مصالح المواطنين وقضاياهم حيث لم تتمكن الأحزاب من القيام بدور فاعل ومؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية، أمّا الانتخابات النيابية فقد غابت عنها النزاهة والشفافية، فلم يكن هناك تمثيل حقيقي للمجالس النيابية . وقد تقاطع هذا البعد (السياسي) مع البعد الاجتماعي، فقد غابت العدالة الاجتماعية وتفشى الغبن الاجتماعي، فأصبح المواطن يعتصر ألما عندما يرى حفنة من العائلات تستولي على مقدرات البلاد الاقتصادية، وتعيش في البذخ والترف على حسابه وحساب كدحه وشقائه مما

DO NOT COPY

أدى إلى انصهار وتآكل الطبقة الوسطى التي يسند إليها تحقيق التوازن الاجتماعي والحراك الاقتصادي . وقد صاحب ذلك سياسات اقتصادية تقوم على مزيد من الديون الخارجية التي سحقت القطاعات الفقيرة إلى جانب خصخصة القطاع العام وتبديد ممتلكات الدولة، الأمر الذي أدى إلى تحوّل الفقر والبطالة وخاصة في أوساط الشباب وخريجي الجامعات إلى معضلة سائدة تستعصي على الحل، ومع مرور الوقت تعمقت الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لقد وصلت التناقضات إلى مداها الأقصى، واشعر بالفخر وانا اعيد نشر الدراسة مع بعض التنقيح لبيان قدرة العلم التنبؤية ، فكل المقدمات(في المجتمع المصرى) من بداية الالفية الثانية كانت تفضى الى ثورة لا محالة ،وهو ما تم معالجته في الفصل الأول ، اما الفصل الثاني والذي خصص لعرض المفاهيم الأساسية ويتضمن مفهومي التنشئة السياسية والقيم السياسية .

وبدءاً بمفهوم التنشئة السياسية ، ولإيضاحه وتحديده قمنا بتناول التعريفات التي أوردها الباحثون لهذا المفهوم ومناقشة كل منها التوصل إلي التعريف الملائم والذي تعتمد عليه فى دراستنا الحالية كذلك التعرف علي مضمون التنشئة السياسية من اتجاهات ومهارات التحليل السياسي والمشاركة السياسية والثقافة السياسية وتم التركيز علي الثقافة السياسية بوصفها تمثل القاعدة الأساسية لمضمون التنشئة ثم التوصل لطريقة قياسها من خلال الوعي السياسي لدي الأفراد بصورة إمبريقية . ثم تلا ذلك عرض لأهم المؤسسات التي افترضنا أهميتها في التأثير على عينة البحث (من طلاب المرحلة الثانوية) ، وهي الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام وجماعة الرفاق ، وما هو دور كل منها في إمداد الأفراد بالثقافة السياسية .

ثم نعرض بعد ذلك لبعض التعريفات التي أوردها علماء النفس لمفهوم القيمة ، ثم تحديد مفهوم القيم السياسية التي يختص البحث بدراستها . وعقب ذلك نعرض

DO NOT COPY

لمستوي الالتزام بالقيم السياسية وبعض محددات الالتزام بالقيم السياسية وفي الفصل الثالث ، والذي خصص لعرض نموذج من تطبيقات العلم وهو الحرب النفسية . راجيا الله تعالي أن أكون وفقت في عرض تلك الموضوعات بالصورة اللائقة, التي تراعي الخصوصية الثقافية للحالة المصرية، و أن يستفيد من هذا الكتاب دارسوا علم النفس والعلوم الإنسانية والمثقفين غير المتخصصين بصورة عامة. كما أتوجه إلي الله تعالي بالحمد والثناء الجميل علي توفيقه علي هذا الإنجاز والله يقول الحق وهو يهدي السبيل،،،،،،،،

سمير خطاب

DO NOT COPY

الفصل الاول

علم النفس السياسي الجذور التاريخية

واقع التنشئة السياسية في مصر

DO NOT COPY

الفصل الاول

مقدمة :

علم النفس السياسي - *Political psychology* ، هو الحقل العلمي الذي يدرس الآليات، والنظم النفسية، لتحديد الوعي السياسي للأشخاص، والجماعات، والجماهير. ويعرفه مورتون دويتش - بأنه: "دراسة تفاعل علم النفس، لاسيما أثر علم النفس على السياسة"

ويُعرف أيضاً أنه استخدام الأساليب والمفاهيم والنظريات المعمول بها في علم النفس في تحليل سلوك الجهات الفاعلة في العملية السياسية، وتفسير المواقف، والقرارات السياسية، باستخدام مصطلحات علم النفس".

علم السياسة كحقل أكاديمي يتعامل مع تأثير العوامل النفسية مثل الإدراك، والمواقف، والمعتقدات، والقيم، والدوافع الشخصية، والعمليات الديناميكية، وعضوية وخصائص الجماعة، والبناء التفصيلي، وطرق التأثير الاجتماعي في المعتقدات السياسية، ومواقف الافراد، والجماعات، وسلوكهم، وتأثير الثقافة السياسية، والنظم، والحركات، والأحزاب، والأيديولوجيات، وآليات التنشئة السياسية، والعلاقات بين الجماعات. وأيضا يهتم علم النفس بدراسة السلوك الجماعي، وتأثير الاتصالات السياسية، والتعليم المدني، والعدالة الاجتماعية.

وبالتالي يشتمل علم النفس السياسي على الجانبين النفسي والسياسي، وهو تطبيق المعرفة النفسية على الظاهرة السياسية.

DO NOT COPY

الجذور التاريخية :

إلى وقت قريب كانت دراسة السياسة ترتبط بالأبنية والمنظمات السياسية، أكثر مما ترتبط بعلم النفس، وقوانين السلوك، على الرغم من تأثير النواحي النفسية بشكل كبير في سلوك القادة، والجماهير، وفي العلاقة بينهم، والعلاقة التعاونية والتنافسية بين الأحزاب، وبعضها البعض، وبينها وبين الجماهير التي تختارها.

الاهتمام بأثر الجانب النفسي في الظاهرة السياسية لم يكن جديداً، وإنما يعود إلى فترات تاريخية بعيدة، يمتد إلى الفلاسفة القدماء، الذين كانت لهم إسهامات كبيرة في علم النفس السياسي، لكنها كانت تندرج تحت الفلسفة الاجتماعية.

كان يبدو أن ثمة محاذير كثيرة في الفترات التاريخية المتعاقبة، والتي كانت تحول دون اقتراب الكثير من الفلاسفة والعلماء من معترك السياسة وقوانينها.فقد أشارت العديد من الدراسات بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى موضوع السيكولوجية السياسية، عن حديثها عن السلطة، والقادة، وعلاقة الحاكم والمحكوم، وممارسة العنف، وغيرها من الظواهر التي لها بُعد سياسي، ولم تكن تلك الدراسات قد شكلت حقلاً معرفياً مستقلاً، يحمل اسم علم النفس السياسي، بقدر ما كانت عبارة عن شذرات فكرية موزعة بين ميادين معرفية مختلفة، من الفلسفة، والدراسات الدينية، والتربوية، والنفسية وغيرها من المعارف، ربما قد أخر هذا نمو علم النفس السياسي لفترات طويلة. نشأ "علم النفس السياسي" بوصفه علماً أكاديمياً وتطبيقياً في تقدير مورتون دويتش في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، نتيجة لما ظهر خلالها من اضطرابات سياسية متلاحقة، وقيام نظم شمولية استعانت بوسائل الدعاية، وقيام نظم ديمقراطية بالرد عليها.في يناير ١٩١٧، في ذروة الحرب العالمية الأولى، نشر جورج بيردو جروندي - وهو المؤرخ الإنجليزي المتخصص في

التاريخ العسكري اليونان وروما القديمة - مقترح بعنوان "علم النفس السياسي: علم لم يتم إنشاؤه بعد"، أشار في ذلك المقترح إلى الحرب العالمية، بصفتها حدثاً أبرز قسماً جديدا من العلوم التاريخية، ألا وهو علم النفس السياسي.

وأشار أيضاً إلى أن السلوك القومي يمكن فهمه على أنه نتاج موروث، من صفات، ومشاعر الطبيعة الإنسانية البشرية، التي شكلتها التربية الوطنية، والسياسات، والظروف.كما أكد جروندي أن العديد من المشاكل الحديثة سببها تصور الحكومات نظريات علم النفس السياسي لسكانها، ومن ثم تعميمها إلى دول أخرى، وبالتالي انخراط الحكومات في تجارب لا تلائم ظروفها.

اهداف علم النفس السياسي :-

يهدف علم النفس السياسي إلى فَهم العلاقات المترابطة بين الأفراد و المواقف التي تتأثر بالمعتقدات، والدوافع، والإدراك، ومعالجة المعلومات، واستراتيجيات التعلم، والتنشئة الاجتماعية وتشكيل السلوك ، وقد تم تطبيق النظرية النفسية السياسية ومناهجها في العديد من العمليات مثل: الدور القيادي، وتكوين السياسات الداخلية والخارجية، والحركات الجماعية والصراعات، والسلوك العنصري، وسُبُل ودافع التصويت، بالإضافة إلى دور وسائل الإعلام في التصويت، و النزعة القومية، والتطرف السياسي والسلوك في العنف العرقي الذي يشمل الحروب والإبادة الجماعية ووفقاَ لهذا يدرس علماء النفس السياسي أسس، وديناميات، ونتاج السلوك السياسي باستخدام التفسيرات المعرفية والاجتماعية ،

لهذا ظهر هذا التخصص الجديد في علم النفس لتحقيق مجموعة من الأهداف:

DO NOT COPY

اولا :_

_تفسير الأحداث السياسية عن طريق وضع فروض حول اهتمامات الافراد وفق طريقة علمية واختبارها، أي اعتماد أسلوب البحث العلمي في دراسة السياسة.

ثانيا:-

_وضع قوانين عامة لسلوك الفرد يمكن من خلالها تفسير وتنبؤ بسلوكه في الأحداث السياسية.

ثالثا :-

_فهم سلوكيات المجموعات وطرق تفكيرها وكيف تتخذ القرارات السياسية.

رابعا:

_استخدام علم النفس في تحسين العملية السياسية مما يفيد الإنسانية عامة.

خامسا:-

_تحليل البنية السيكولوجية للقادة السياسيين والساسة والاتجاهات المختلفة للجماهير فى الثورات الشعبية العالمية وبيان أنماط السلوك البشرى للتعامل مع الأزمات والثورات والاحتجاجات.

ولا يقتصر مجال علم النفس السياسي على تفسير الظواهر السياسية الكبرى برؤية سيكولوجية فقط بل يتعمق هذا المجال في فهم وأدراك كل العوامل التي تؤدى إلى هذه الظاهرة ،ومن بعض المواضيع السيكولوجية السياسية والتي قد تشغل دراسة الباحث في هذا العلم:

التنشئة السياسية.

الوعي السياسي.

المشاركة السياسية

DO NOT COPY

السلوك الانتخابي.

العنف السياسي

الحرب النفسية .

التفاوض وادارة الازمات

مفهوم العولمة ، التاثيرات النفسية للعولمه والعولمة و الهوية الثقافية .

.التعصب والصراع في العلاقات الثقافية .

والخلاصة ، أن علم النفس يهتم أساساً بدراسة النفس البشرية وما يكوّنها من عناصر، في محاولة جادة لفهم تلك النفس بكل ما فيها من غرائز وطباع، نزعات وميول، بواعث ودوافع، وعي ولا وعي، كما ركز علماء النفس كثيراً على دراسة سلوك قادة بعينهم،او سلوك مواطنين أفراد كمنتجين ومشاركين مثلاً، كما ركزوا على السلوك الجمعي سواء أكان ذلك على مستوى الجماعة أم الأمة. لقد امتدت الدراسات السيكولوجية للأفراد إلى ما وراء دراسات السيرة الذاتية لقائد بعينه أو استبيان آراء المواطنين ومواقفهم كي تتضمن محاولات تنظيرية أكثر بحيث تدرس العلاقة بين سمات الشخصية والتوجهات الإيديولوجية، كما هي الحال بالنسبة إلى الشخصية الاستبدادية الفردية، فيما تضمن علم نفس السلوك الجمعي مسائل تمتد من الأشكال العرقية وغير العرقية لهويات الجماعة وصولاً إلى احتكاك الثقافات المتعددة بعضها بالبعض الآخر والمسائل المتعلقة بقضايا الحروب والتطلع إلى السلام.

اهمية علم النفس السياسي :

يمكن تعريف علم النفس السياسي بكونه تخصصا معرفيا يهتم بدراسة التفاعل بين العمليات النفسية والسياسية، وبمعنى آخر فهذا التخصص المعرفي يشكل مجالا لالتقاء علم النفس والسياسة في نفس الوقت، وبهذا يكون علم النفس

DO NOT COPY

السياسي، ذلك العلم الذي يهتم بتفسير الظواهر والأحداث السياسية وسلوك الفرد والجماعة من منظور سيكولوجي، وذلك عبر طرح فرضيات تفسيرية للأفعال السياسية، مثل:

لماذا يخرج الأفراد للاحتجاج السياسي بالاماكن العمومية؟

ما هي الأسباب التي تدفع الشخص للإقدام على بعض السلوكيات العدائية تجاه الدولة؟

ما هي العوامل المتحكمة في العزوف السياسي والانتخابي، ...، ففي هذه الحالة يفدينا علم النفس السياسي من أجل فهم علم السياسة، أخذا بعين الاعتبار مقولة (أرسطو) "الإنسان حيوان سياسي".

فعلم النفس السياسي لا يكتفي بالنظر للسياسة، باعتبارها فن حكم الدول، بل يرى أنه لتحليل أي سلوك أو تصرف أو موقف سياسي، لا بد من الرجوع إلى النفس البشرية، لأن السياسة تعتبر بمثابة مؤثر في شخصية وسلوك الفرد سواء كان فاعلا سياسيا أو قائدا أو جماعة سياسية. ويعتبر (هارود لاسويل) الأب المؤسس لعلم النفس السياسي كتخصص معرفي أو حقل علمي جامعي بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال تأكيده على أهمية العمليات النفسية سواء الفردية أو الجماعية في تحديد السلوك السياسي، منطلقا من دراسة تأثير وسائل الاتصال على الرأي العام، انطلاقا من قاعدة (من يقول؟، ماذا يقول؟، بأية وسيلة؟، لمن؟، ولأي غرض؟).

أما في أوربا فقد حظي هذا الحقل المعرفي باهتمام من مدرسة فرانكفورت النقدية، التي يتزعمها (ماكس هوركهايمر)؛ (هربرت ماركوز)؛ (يورغن هابرماس)؛ و(تيودور أدورنو). وما ميز هذه المدرسة هو أنها اعتمدت منهج نقدي لدراسة الظواهر الاجتماعية، ونهلت من حقوق معرفية أخرى في مقدمتها علم النفس وعلم الاجتماع، واشارت الى إن توظيف علم النفس

DO NOT COPY

السياسي لدراسة وتحليل قضايا علم السياسة، لا يجب أنه يفهم منه إقصاء الحقول المعرفية الأخرى، كعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع،...، في التحليل السياسي، بل إن العلوم الاجتماعية في حاجة للتكامل المعرفي والوظيفي وفي خدمة بعضها، خاصة في ظل ظهور ممارسات سياسية جديدة، مما غدت معه مهمة تحليل الأحداث والظواهر الاجتماعية والسياسية تستوجب الاستعانة بتخصصات وحقول معرفية أخرى، وهنا تبدو الحاجة لتوظيف مبادئ علم النفس السياسي، بجانب حقول معرفية أخرى، لدراسة التغييرات الثقافية والسلوكيات السياسية للفرد والجماعة التي أخذت مظاهر جديدة وأبعادا أخرى، خاصة مع الثورة المعلوماتية ووسائل الاتصال الحديثة، التي أفضت لبروز فضاء عمومي افتراضي باعتباره منصة غير متحكم فيها رسميا تسمح ببروز بعض السلوكيات السياسية الفردية والجماعية سواء منظمة أو غير منظمة وإن كانت الغلبة أحيانا للثانية.

ثم جاءت المدرسة البريطانية التي اشارت الى انه كي يفهم السلوك الإنساني، علينا ان نفهم اولا العوامل الموقفية، وهنا يلعب الموقف المحيط بالفرد والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي...، أهمية كبرى في تشكيل سلوكه ومواقفه وتصرفاته، والامر الثاني العوامل النزوعية، بمعنى أن شخصية الفرد وما لديه من اعتقادات وقناعات ورواسب فكرية وعقائدية وقيمية أو حتى مواقفه وتوجهاته السياسية والموروثات الجينية تلعب دورا في تشكيل سلوكياته وأفعاله.

امثلة على توظيف علم النفس السياسي:-

اولا :- غوستاف لوبون ودراسة سيكولوجية الجماهير

اهتم هذا المفكر الفرنسي بدراسة الطب النفسي والسلوك الجماعي، وأصدر فيه العديد من الأبحاث يبقى من أشهرها، على الإطلاق، كتابه المعنون

DO NOT COPY

بـ"سيكولوجية الجماهير"، وانطلق (لوبون) من محاولة الإجابة على التساؤل التالي:"كيف يمكن للقادة أن يجيشوا الجماهير؟". فوصل لخلاصة أساسية تتمثل في كون الجماهير تغلب عليها الغريزة الثورية دون سبب أو مبرر، والانتماء للجماعة يجعلها تشارك في أي قضية يغلب عليها الطابع الجماهيري، فالقائد يستطيع تحريك الجماهير عن طريق عاطفتها وميولاتها المتطرفة، لأنه من الصعب جدا تواجد النزعة الفردانية داخل الحشد الذي يسيطر عليه الفكر الجمعي.

فالميزة الأساسية للجماهير هي أنها مستعدة وبدون شعور على الذوبان في نفس واحدة تلغي كل التمايزات الشخصية والفردانية، لأن المتغيرات التي تطرأ على سلوك الفرد المنخرط في المجموع مشابهة لتلك الذي يتعرض لها الإنسان أثناء عملية التنويم المغناطيسي، وهنا يظهر لنا بأن (غوستاف) وظف علم النفس لتحليل نفسية الجماهير، الأمر الذي دفعه للقول بأن الكلمات لا تحدث تأثيرا في الجماهير إلا إذا تم تسريبها بطريقة ذكية لمنطقة اللاوعي لتتحول بعد ذلك لعواطف وسلوك "قهري" يقف وراءه القائد المحرك لها والذي يمارس تنويما مغناطيسيا على الجماهير على غرار التأثير الذي يمارسه الطبيب على مرضاه، الأمر الذي يجعلها مستعدة على تقديم تضحيات في إطار الجماعة وبدون مقابل.

وإذا ما حاولنا، تطبيق نظرية (لوبون) في الواقع العملي، نجد بأن هذا ما يحدث بالفعل في إطار المجموعات الدينية والإرهابية المتطرفة، حيث يتم الترويج لأفكار وخطابات مغلفة بحمولة وخطاب دينيين من قبل قائد التنظيم، الذي يجعل الفرد تحت عملية تأثير ينتج عنه تملك الفرد لصورة عدائية ضد السلطة والآخر، ويتبنى أفكارا وسلوكيات متطرفة، خاصة وأنه يشعر بالاستقواء من خلال الانضمام للجماعة دون الوعي بما يقوم به من ممارسات متهورة، لأنه

غير قادر على إدراك الخطاب المغلف بحمولات دينية، لذلك من السهل تعديل وتوجيه سلوكه إلى فعل محدد سلفا من قبل التنظيم المتطرف، وهذا يحيلنا على نظرية (إيميل دوركهايم) المتعلقة بتصنيفه لأنواع الانتحار، خاصة الإيثاري، الذي يكون بسبب الاندماج الكامل في الجماعة، بحيث ينظر للحاجيات الفردية باعتبارها أقل أهمية من حاجيات الجماعة، وهو موجود في التجمعات التي تملك نظرة سوداوية عن كل شيء

علم النفس السياسي وعلاقته بالعلوم الأخرى:

يمتلك علم النفس السياسي علاقة واسعة مع العديد من العلوم النفسية، والاجتماعية، والطبية، وغيرها، فعند دراسته للظاهرة السيكو سياسية، فعلم النفس الاجتماعي تم الاعتماد عليه من قبل علم النفس السياسي في دراسة طبيعة وأسس المواقف السياسية والسلوك السياسي. هذا المنهج انتج لنا اهتماماً بمواضيع العاطفة وطبيعة التنشئة، وتأثير المجموعات، فضلاً عن علم النفس الاجتماعي، هناك فروع أخرى من علم النفس كان لها دوراً كبيراً في تطوير علم النفس السياسي، في الجانب النظري، والعملي، وبالأخص منها علم نفس الأعصاب، وعلم الأعصاب المعرفي، وعلم الأنثروبولوجيا، وعلم الأحياء، وعلوم السلوك التي فتحت منهجاً جديداً في دراسة السلوك الإنساني، هذه العلوم ومناهجها أسهمت في تقديم تفاسير عديدة للمواقف السياسية، وتوفير خارطة مهمة للاتجاهات المستقبلية في علم النفس السياسي، وبذلك تطور علم النفس السياسي كثيراً في اعتماده على الحقول الفرعية لدراسة علم الظاهرة السيكو سياسية، وفي نفس الإطار انتفع علم النفس السياسي من التطور التكنولوجي والتقدم في طرق البحث، حيث نجد أن المناهج الحديثة المتبعة في دراسة

DO NOT COPY

السلوك الإنساني اعتمدت في دراستها للظاهرة السياسية على حقول متعددة، ففي مجال علم السياسة تم استخدام علم أحياء الأعصاب، وطرق علم النفس لتفسير السمات السياسية. وكذلك نجد بأن مواضيع مثل التمييز، والتعاون، والاعتداء، وطبيعة التمثيل، وأسس الايدولوجية السياسية تم تفسيرها منذ عقود بالاعتماد على علماء الاعصاب، وعلماء النفس، وعلماء جينوم السلوكي، ونجد هذا الاهتمام تطور إلى الاهتمام بفهم أصل التفضيلات السياسية.

واقع التنشئة السياسية في مصر:

لقد سادت في المجتمع المصري في الآونة الأخيرة(في فترة التسعينيات) بعض السلوكيات السلبية ، التي تشير إلي وجود بعض الأمراض الاجتماعية الخبيثة ، والتي قد ترجع إلي اضطراب القيم الإيجابية لهذا المجتمع ، وافتقاد النموذج والقدوة الصالحة أمام النشء (قدري حفني"أ" ١٩٨٦ ص٢٧،سيد عويس ١٩٨٨،ص١٥١، جمال مختار حمزة ١٩٩٤،ص١٠٠، فرج عبد القادر طه ١٩٩٤ ص١٧١: ١٨٨، عبد الرؤف ثابت ١٩٩٥ مواضع متفرقة ، نادية رضوان ١٩٩٧ ص٢٠٥، جلال أمين ١٩٩٨ ، ص٨ : ١٠،ثروت اسحق ١٩٩٨ ، ص٢٧) * ، إلي جانب تدعيم بعض الأنماط السلوكية السلبية– من كل مؤسسات المجتمع – مثل الفهلوة والنفاق واللامبالاة ، والمحسوبية ... الخ،

---

*

يتم التوثيق بذكر اسم المؤلف ثم سنة النشر ثم الصفحات وذلك من اليمين إلي اليسار إذا كان المرجع عربياً وبالعكس إذا كان أجنبياً .

وذلك بصورة تبرر تبني أو اعتناق هذه الأنماط السلوكية السلبية بدلاً من التخلي عنها أو رفضها .

وتطالعنا الصحف يومياً بأخبار الحوادث والجرائم التي تشير إلي الانحرافات الموجودة في المجتمع والتي تتغلغل في نسيجه – وإن كانت موجودة من قبل – كما أنها في كل المجتمعات وليس في المجتمع المصري فقط - ، فقضايا الفساد التي يعُلن عنها والتي يتورط فيها كبار المسئولين وصغار الموظفين علي السواء ، وجرائم النصب والاحتيال والتزوير ، وحوادث القتل في المحيط الأسري واغتصاب الفتيات ، وأحداث العنف السياسي وتخريب المنشآت وإهدار المال العام ، ناهيك عن عدم احترام القوانين والتحايل عليها وعدم الانضباط ، والانحرافات غير المجرمة قانوناً – من قبل – كالبلطجة مثلاً (إبراهيم العناني ١٩٩٨ ص١٣ : ١٥) ، والتي تظهر بصورة واضحة عبر عملية الملاحظة البسيطة في تعامل الأفراد داخل الجماعات المختلفة بدءاً من الأسرة إلي المنظمات الاجتماعية القائمة في المجتمع .

ولقد ترتب علي ذلك – أو صاحبه – ظهور بعض السمات السلبية في شخصية أفراد المجتمع مثل السلبية واللامبالاة ، ونقص الكفاءة وبالتالي تدني مستوي الأداء . وفي تأملاته لما طرأ علي الشخصية المصرية من سلبيات يشخص (فرج طه) حالة المجتمع المصري والشخصية المصرية بقولة ((إن الشخصية المصرية – في قطاع كبير منها – قد أصيبت بتليف الضمير ***Conscience Cirrhosis***) (فرج عبد القادر طه ١٩٩٤، ص ١٨١) ويمكن رد هذه الظواهر السلبية إلي العوامل التالية :

١- فقدان المصداقية للسلطة ورموزها :

وذلك من كثرة الشعارات التي تطرح ويصعب تحقيقها ، بالإضافة إلي عدم احترام تلك الشعارات من جانب من ينادون بها ، فمثلاً الذين ينادون بضرورة

احترام القوانين ، منهم من يضرب به عرض الحائط ! وينسحب ذلك علي كافة المجالات . حيث نلمس بصورة واضحة المفارقة بين ما يقوله القادة وما يمارسونه (سيد عويس ١٩٨٨ ، ص ١٥١ : ١٥٢) .

ويري البعض أن أهم ما يواجه الأمن المصري من تحديات هو الترديد اللفظي للشعارات الأيديولوجية بغير الالتزام الحازم بالمصالح القومية (السيد يس ١٩٩٥ ص ٢٢) . كما تشير نتائج إحدى الدراسات الميدانية في هذا المضمار إلي اختلاف ادعاءات وشعارات النظام الحاكم عن مستوي الأفعال والإنجازات التي قام بتحقيقها ، ومن ثم فقد انهارت الثقة في الشعارات التي طال ترديدها ، فالحرية ، والمساواة ، والعدالة الاجتماعية وسيادة القانون ... الخ ادعاءات لم يؤيدها الواقع . (ناديه رضوان ١٩٩٧ ، ص ٢٠٤) .

٢- الغموض وعدم وضوح الرؤية :

ويتأتي ذلك من خلال إتباع وسائل الإعلام لسياسة التعتيم الإعلامي وعدم المكاشفة في طرحها وتناولها لمختلف القضايا ، فالصحف علي سبيل المثال – أقصد الرسمية منها – تهتم بتناول الموضوعات التي تخدم مصالح فئة قليلة من أفراد المجتمع ، حيث تركز علي القضايا السياسية والنظام السياسي ، وأخبار الفنانين وتتجاهل المشكلات الحقيقية التي تمس القضايا المصيرية للسواد الأعظم من المجتمع . (محمد على محمد ١٩٨٠ ص ٩٤ : ٩٥، نعمات أحمد فؤاد ، ١٩٨٦ ، ص ٥٨ ، سعد المغربي ١٩٩٣ص ٢٥٠،نادية رضوان ١٩٩٧ ، ص ٢٠٨)

٣ - المتناقضات الكثيرة وسيادة مناخ التذبذب :

ففي كل المجالات نجد نماذج لتلك المتناقضات التي تدعو للحيرة وفقدان الثقة في كل شيء ؛ فمثلاً الزعيم الأوحد والذي نصنع منه بطلاً قومياً اليوم ، يصبح فيما بعد الخائن والمجرم في حق المجتمع ، ولعل أحد مظاهر مناخ

DO NOT COPY

التذبذب وأخطرها كما يري البعض ، أنه حين يتغير النظام السياسي تعاد صياغة الأهداف الأساسية والقيم ، مما يجعل عملية بناء الأمة وخلق الإجماع القومي حول الأهداف والمصالح القومية تعود إلي نقطتها الأولية التي بدأت منها (سعدالمغربي١٩٩٣ ص٢٣٣، السيد يس ١٩٩٥ ، ص٢٢) . ويذهب البعض أبعد من ذلك في رصد أسباب التذبذب وعدم الاستقرار في السياسات ، فتغير السياسات واختلافها من حقبة زمنية لآخري لا يتم لأي سبب من الأسباب سوى تغير شخوص ومكانات صانعي القرار (نادية رضوان ١٩٩٧ ، ص ٣٣٨) .

٤- افتقاد القدوة : من الثابت أن النشء بصفة خاصة يحتاج إلي الاسترشاد بنموذج له قيم واضحة ، تكون بمثابة موجهات لسلوكهم وتجنبهم الحيرة الفكرية والانحراف ، والنشء المصري بصفة خاصة يحتاج إلي نماذج صالحة لكي تكون قدوة طيبة لهم ((سيد عويس ١٩٨٨ ، ص ١٤٩: ١٦١)) ويضيف ((فرج طه)) بأن أحد أهم أسباب السلبيات التي طرأت علي الشخصية المصرية هو افتقاد القدوة الطيبة ،فيذكر ((ومن أسف أن نلاحظ في هذه الأيام كثرة الفاسدين المفسدين ، وبعضهم يطفون علي سطح المجتمع ، ويمثلون نجومه في الثروة والمركز والجاه ، مما يخطف أبصار المقلدين ، والباحثين عن التوحد ، فإذا بهم يقلدون الفساد ، ويتوحدون بمن يشيعون السوء والدمار ، ويعيثون في الأرض فساداً في المجتمع ، لا تحدهم قيم ولا أخلاقيات .)) (فرج عبد القادر طه ١٩٩٤ ص ١٨١) .

وبغض النظر عن إسهام بعض تلك العوامل ، أو كلها مجتمعة في زيادة وطأة مشاعر السلبية ، وشيوع عدم تحمل المسئولية ، وضعف الانتماء والولاء للوطن وما يستتبع ذلك من أثار نفسية واجتماعية خطيرة بالنسبة للفرد أو الجماعة . فأنه يمكن دراستها من منظور عدم الالتزام بقيم ومعايير المجتمع ،

وهل يرجع ذلك إلي عدم رغبة أفراد المجتمع في تبنيها والتمسك بها ؟ أم لعدم كفاءة أجهزة التنشئة الاجتماعية في نقلها وبثها في الأعضاء الجدد للمجتمع ؟

ومن الجدير بالذكر أننا لسنا معنيين هنا بالرصد الإحصائي للظاهرة موضوع الدراسة ، بقدر ما نعتمد علي رصد ما يتعلق بتلك الظاهرة من وقائع منشورة في الصحف اليومية ، وهي إحدى الوسائل الإعلامية التي تعني بكشف صور عدم الالتزام بقيم ومعايير المجتمع ، وبالإضافة إلي ما أفرزته البحوث والدراسات الميدانية التي أجريت في المجتمع المصري ، والتي تناولت هذا الموضوع من جوانب مختلفة ، يمكننا أن نتصور ملامح الظاهرة وبالتالي إمكانية دراستها بصورة دقيقة ؛ ففي معرض الحديث عن انحرافات الطلاب داخل معاهد التعليم في مصر أشار (مصطفي سويف) إلي نتائج دراسته الميدانية التي تمت علي عينة ممثلة لطلاب المدارس الثانوية بمصر ، والتي اختصت بالكشف عن مظاهر السلوك المنحرف والتي تمثلت في إساءة التصرف داخل قاعات الدرس والزوغان من المدرسة ، والغش في الامتحانات ، وتوصل إلي أن حوالي ثلث طلاب المرحلة الثانوية يمكن تصنيف سلوكهم بالسلوك المنحرف ، والذي أرجعه إلي نوعين من الأسباب :

أسباب مباشرة : وتتمثل في تقلص دور المدرسة وتخليها عن أحد أهم أدوارها ، فهي إلي جانب دورها في تعليم النشء المهارات النظرية والعملية تقوم بتربيته : أي غرس منظومة معينة من القيم فيه .

أسباب غير مباشرة : وأهمها تشوه الضمير العام مما أدي إلي اختلال القدرة علي إدراك وجه التجريم لبعض الأفعال : أي تغير الحكم ألقيمي . (مصطفي سويف ، ١٩٩٣ ، ص ١٤٧ : ١٦٤)

وفي مناقشته لواقع النظام التربوي في مصر في الفترة الراهنة ، أشار (سعيد إسماعيل) إلي نتيجة تتفق مع ما سبق حيث أكد علي أن الخلل في النظام

التعليمي يرجع إلي خلل منظومة القيم المجتمعية . (سعيد إسماعيل ١٩٩٥ ص ٢٩)

هذا عن ملامح الظاهرة لدي الطلاب ، أما عن وجودها لدي شرائح مختلفة (مهنية – تعليمية) في المجتمع ، فقد حاولت (أسماء عبد المنعم ١٩٨٧) التعرف علي العلاقة المتبادلة بين التغير الاجتماعي والقيم في المجتمع المصري في الفترة من منتصف القرن العشرين وحتى أواخر الثمانينيات ، أشارت إلي وجود تغير في القيم إلي الاتجاه السالب ، وذلك بالنسبة لقيم العمل الحكومي ، والقيم الأسرية ، والسياسية ، والجمالية ، والاستهلاكية ، وقيم العمل ، وبلغت النسبة المئوية للقيم السالبة ٥٧ % مما يشير إلي تغير قيم المجتمع إلي الاتجاه السالب .

ويحاول الباحثون الوقوف علي أسباب التغير في القيم ، أو البحث عن سبب بعينه ، فمنهم من يربط ذلك بالظروف السياسية للمجتمع ، فمثلاً ثورة يوليو ١٩٥٢ كتجربة سياسية جديدة في المجتمع المصري وما صاحبها من تغير في قيم المجتمع ، فقد اتجهت الثورة إلي تغيير الجوانب المادية في المجتمع وأغفلت الجوانب المعنوية للأفراد ؛ مما انعكس علي بنية المجتمع من آثار سلبية (عصام الدين حواس، ١٩٨٠ص٣٩: ٦٠)

ويربط آخرون بين الظروف الاقتصادية والتغير في القيم ، فقد اهتم البعض بدراسة نتائج سياسة الانفتاح الاقتصادي – والتي بدأت في السبعينيات – ورصد القيم التي صاحبتها ، بحيث يمكن القول بأن سياسة الانفتاح قد أدت إلى إحداث خلل في النظام القيمي للمجتمع واختفاء القيم الإيجابية للمجتمع وظهور أخري بدلاً منها فاللامبالاة والسلبية قد سادت واندثرت قيم تحمل المسئولية والإيجابية ،كذلك تراجعت قيم العمل المنتج وانتشرت قيم أخري مثل الرغبة في الربح

DO NOT COPY

السريع والاستهلاكية كذلك تدني قيم العلم والتعليم والانتماء (أحمد أنور١٩٩٣ ، ص ٣٨٨ : ٤١١)

وفي دراسة أخري اهتمت بمعرفة العلاقة بين الانفتاح الاقتصادي والقيم والانتماء ، توصلت (عزة الألفي) إلي نتائج تتفق في مجملها مع ما سبق ، حيث كشفت عن وجود تغيرات طرأت علي بعض القيم ، وظهور قيم أخري (سلبية) بديلة عنها ، مثل الرغبة في الكسب السريع ، والأنانية والانتهازية ، والتي تسهم جميعها في ضعف الولاء للوطن (عزة الألفي ١٩٨٥ ، ص٩٢ : ١٢٢)

وفي دراسة تتبعيه في الفترة من ١٩٨٤ وحتى ١٩٩٤ علي حالات فردية من طلاب الجامعات ، حاولت (ناديه رضوان) رصد أثر المتغيرات الاقتصادية التي طرأت علي المجتمع المصري علي بنية وقيم الأفراد ، ولاحظت أن السياسات الاقتصادية التي طرأت في تلك الفترة دون أن يصاحبها أية عملية تخطيطية أو توفيقية لاحتياجات الشباب الآتية أو المستقبلية قد أدت إلي إحداث تغيرات عميقة الأثر علي بنية المجتمع بصفة عامة والجانب القيمي بصفة خاصة ؛ حيث أدي التغير الاجتماعي إلي التركيز علي القيم المادية وتهميش القيم الاجتماعية ، وقد شارك في ذلك وسائل الإعلام علي اختلافها والمؤسسات التربوية (ناديه رضوان ١٩٩٧ ، ص ٢٠٥ : ٢٣٨) .

من خلال نتائج الدراسات السابقة ، يمكننا استنتاج – بقدر من الثقة – وجود ظاهرة ضعف الالتزام بالقيم الإيجابية للمجتمع المصري ، وبغض النظر عن التباين بين الباحثين في رد أسبابها إلي الظروف السياسية أو الاقتصادية والذي يعكس وجهات نظر الباحثين ، ولا يعكس السبب الحقيقي وراء حدوثها ، فالظروف السياسية تتشابك مع تلك الاقتصادية في تشكيل شخصية الأفراد بصورة كلية شاملة ، بحيث يصبح من العسير دراسة أثر إحداهما بمعزل عن

DO NOT COPY

الأخرى ، وبالتالي فمن الضروري لتحقيق الفهم الصحيح لظاهرة ضعف الالتزام تلك أن نفحص الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والتي تؤثر في تشكيل شخصية أفراد المجتمع كذلك تبدو الحاجة إلي مزيد من المعلومات عن خصائص الشخصية المصرية ، حتى يمكن تشخيص أوجه الخلل والقصور بدقة . وبالتالي معرفة هل ضعف الالتزام بالقيم الإيجابية يرجع إلي ظروف اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية بعينها ؟ أم أنها نتيجة كل تلك الظروف جميعاً ؟ أم ترجع إلي شخصية الأفراد أو بعبارة أخري هل هي سمة متأصلة في بناء شخصية الإنسان المصري ؟ .

في الواقع أن العديد من الدراسات التي عنيت بالإجابة علي مثل هذه التساؤلات – دراسات الشخصية القومية – قد انتهت بتقديم ملامح عامة لشخصية الإنسان المصري ، كما أوردت بعض السمات السلبية التي تسم شخصيته ، والتي تبدو وكأنها متأصلة فيه ، وقد يكون في ذلك مجافاة للواقع والموضوعية ، وبالتالي لا يمكن الاعتماد علي ما توصلت إليه تلك الدراسات من نتائج . علي الرغم من ذلك فإنه يجب الاعتراف بقيمة تلك الدراسات في إثراء معلوماتنا في تطوير العديد من الافتراضات حول سمات الشخصية القومية . ويري البعض مثلاً أن نمط الإنتاج السائد يعد محدداً لشخصية الأفراد (السيد يس ١٩٩١ ، ص ٧٩) وربما في ذلك قدر كبير من عدم الدقة حيث لا تتحدد الشخصية في الغالب في نمط الإنتاج وحده ، بل تتحدد في قلب تكوين اجتماعي يحوي أنماط إنتاج وطبقات وأيديولوجيات وأطر ثقافية تتفاعل جميعها في تحديد الشخصية ، كما أن الفرد يلعب أدوارا مختلفة في حياته ويكون عرضة لمؤثرات عديدة تخلق منه نمطاً فريداً.

وفهمنا للشخصية لا يتأتي إلا من خلال وضعها في السياق الخاص بالبيئة الاجتماعية في فترة تاريخية محددة .

DO NOT COPY

ويقلل البعض من قيمة النتائج التي أفضت إليها دراسات الشخصية القومية نظراً للاعتبارات التالية :

١- أن بعض الباحثين المصريين قد تأثروا إلي حد بعيد بنفس الآراء التي طورها المستشرقون عن الشخصية المصرية ، وهي غير صادقة بالمرة وظلت هذه الآراء دون تمحيص كافٍ وبالتالي فهي غير موضوعية .

٢- أن غالبية هذه الدراسات انطباعية تأملية (أحمد زايد ، ١٩٩٠ ص ٢١ : ٣٠) وبالتالي فإن الاعتماد علي نتائج تلك الدراسات يشير إلي أن هناك مجموعة من السمات السلبية المتأصلة في بناء الشخصية المصرية في كل العصور بغض النظر عن التغير الاجتماعي وما يحدثه من تغير في مختلف جوانب شخصية الأفراد . وبذلك فإنه من المرجح أن تكون بعض السمات السلبية كالتواكل والسلبية وعدم تحمل المسئولية والفهلوة ... الخ ، والتي تناقلتها دراسات الشخصية القومية ، هي ملامح أضفيت علي شخصية الإنسان المصري بفعل عوامل تاريخية معينة ، وليست سمات ثابتة في بناء شخصيته .

ولعل نقطة البدء في تقصي أسباب ظاهرة ضعف الالتزام بقيم المجتمع (المصري) الإيجابية تكمن في فهم عملية التنشئة الاجتماعية بمعناها الشامل ، وهي عملية نقل الإرث الاجتماعي والثقافي للمجتمع من جيل إلي جيل ، وبناء شخصية الأفراد في ضوء أهداف المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمة ومعاييره ، وبقدر نجاح المؤسسات التي تقوم بهذه العملية في خلق شخصيات قادرة علي تحقيق التوافق الناجح مع أهداف المجتمع يكون توحد الأفراد بقيم ومعايير ذلك المجتمع أما في حالة تعارض مؤسسات التنشئة وعدم اتفاقها أو نقص كفاءتها

DO NOT COPY

في غرس أهداف المجتمع في الأعضاء الجدد تحدث الآثار السلبية في شخصية الأفراد حيث تشيع القيم السلبية التي تهدد بقاء المجتمع واستقراره .

لذلك يبدو من المنطقي ونحن نبحث عن أسباب ظاهرة ضعف الالتزام بقيم المجتمع (في المجال السياسي ، الاقتصادي ، الاجتماعي ... الخ) أن ننظر في مدي فاعلية المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة وكفاءتها في ذلك ، ومدي اتفاق أو تعارض أهداف تلك المؤسسات ، ومدي تمثل الأفراد وتقبلهم لها.

وتتأثر عملية التنشئة بالظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية السائدة والتي قد تكون ميسرة أو معوقة لتحقيق التوافق مع قيم وأهداف المجتمع . وفي ضوء تلك الظروف التي تتغير من فترة لأخري ، نجد ضرورة تساند كافة مؤسسات التنشئة واتفاقها علي أهداف محددة لإعداد المواطن وفقاً لها ، أما في حالة تصارع الأهداف وانعدام التنظيم المسئول عن تحقيق سياسة قومية متفق عليها ، فأن هذا يؤثر بشكل سلبي علي تشكيل المواطن الصالح ، وتحدث الآثار السلبية في شخصية الأفراد مثل انتشار القيم السلبية ، والانحراف ... الخ .

من أجل ذلك فإننا كمجتمع في حاجة ماسة إلي الاتفاق علي سياسة قومية تلتزم كافة مؤسسات التنشئة بتنفيذها ، من أجل تعزيز قدرة النشء علي ممارسة أدوارهم بفاعلية ونجاح خاصة في المجال السياسي ، ليس فقط داخل التنظيمات السياسية الرسمية ولكن داخل جميع مؤسسات المجتمع الأخرى ، لكي يتعرفوا علي المشكلات التي تواجه مجتمعهم ويشاركوا في حلها ، وينمي ذلك لديهم الإحساس بالمسئولية والولاء للوطن فمن خلال التنشئة السياسية الناجحة يتعلم ويكتسب النشء القيم والمعتقدات الإيجابية سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة عبر كافة مؤسسات التنشئة .

١ - الإطار العام لمشكلة البحث :

DO NOT COPY

في ضوء ما سبق نرجح وجود خلل في البناء ألقيمي للشخصية المصرية كدليل علي إخفاق مؤسسات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة والسياسية بصفة خاصة في خلق الشخصية المصرية القادرة علي استدماج القيم والمعايير الإيجابية للمجتمع المصري ، وما صاحب ذلك من آثار سلبية علي شخصية الأفراد وبالتالي المجتمع .

ومن نافلة القول إن العلم لا يهدف فقط إلي معرفة شكل الظواهر الموجودة في المجتمع ، بل يحاول الكشف عن كيفية حدوث الظواهر بهذا الشكل ، وأن يتوصل إلي تعميمات تعطينا فهماً وتفسيراً أعمق للظواهر ، وهذا بدورة يعطينا أساساً يمكننا من التنبؤ بسير الظواهر والتحكم فيها علي نحو يفيد المجتمع .

ولا شك فى أننا في حاجة ماسة للبحث العلمي لكي يساعدنا في التخطيط لحياة أفضل ، من خلال مواجهة مشكلات التغير الاجتماعي في مجتمعنا المصري وفي عصرنا الحالي نشهد تغيرات سريعة في كافة المجالات وعلي كافة المستويات ومع هذه التغيرات تزداد المشكلات الاجتماعية التي يتعين علينا مواجهتها حتي نواصل مسيرتنا نحو التقدم .

لذا فقد أصبح من الضروري أن نتعرف علي مدي فاعلية التنشئة السياسية ومؤسساتها في بث القيم المرغوبة لخلق شخصيات الأفراد بما يتفق وأهداف المجتمع ، وما يضمن لنا الاحتفاظ بذاتيتنا الثقافية وسط خضم ثورة الاتصالات والأقمار الصناعية التي جعلت من العالم قرية صغيرة . ولعل أحد أهم وأخطر وظائف التنشئة في العصر الحالي هو الحفاظ علي الهوية والملامح المميزة للمجتمع المصري ، بما تعكسهما من تراث حضاري ثقافي يمثل البناء الأساسي للشخصية المصرية .

ونظراً للاعتبارات السابقة فقد أولي بعض الباحثين اهتمامهم بدراسة التنشئة السياسية في مصر ، وإن بدأ ذلك متأخراً نسبياً ، حيث بدأت تلك الدراسات في

DO NOT COPY

السبعينيات ، ولعل هذا التأخير يرجع كما يري البعض إلي أن دراسات السلوك السياسي بصفة عامة والتنشئة بصفة خاصة قد أدرجت ضمن الموضوعات المحظور تناولها بالبحث والدراسة . (عزيزة محمد السيد ١٩٩٤ ، ص ٥٦) وفي اعتقادنا أن ذلك قد ترك أثراً وضحاً علي الدراسات التي تمت في هذا السياق ، فمعظمها أتت بنتائج تتسق ورؤية النظام السياسي وذلك بالطبع علي حساب دقة المنهج ، كما سيتضح في عرض نماذج لدراسات سابقة ، وقبل أن نعرض لتلك النماذج نود الإشارة إلي أن هذه الدراسات أجمعت علي فحص دور اثنتين فقط من مؤسسات التنشئة السياسية ، وهما :

١. **المؤسسة التربوية .**
٢. **وسائل الإعلام .**

وسوف نعتبر ذلك أساساً للتصنيف ، ونعرض فيما يلي لنماذج من تلك الدراسات بما يساعدنا علي إيضاح المشكلة وتحديدها .

أولاً: دراسات تناولت دور المؤسسة التربوية في التنشئة السياسية :

ففي دراستها التحليلية للتنشئة السياسية للطفل المصري ، اعتمدت (نادية سالم) علي أسلوب تحليل المضمون لمقررات المواد الاجتماعية والتربية القومية لطلاب المدارس الابتدائية من الصف الثالث إلي السادس الابتدائي ، وهدفت إلي معرفة أبعاد التنشئة المتضمنة في تلك المقررات ، مثل الانتماء القومي ومفهوم السلطة ، والروح الجماعية . والمسئولية ، والحرية ، والعدل والمساواة وأشارت نتائجها إلي أن المقررات تؤكد علي فكرة الوطنية بوصفها شيئاً مستقلاً عن العروبة والإسلام ، بينما يشغل الانتماء العربي حيزاً محدوداً ،

DO NOT COPY

وتؤكد النتائج علي دور الأفراد ، والحاكم أكثر من الجماهير ، والجيش أكثر من الشعب (نادية سالم ١٩٨٣ ، ص٥٤ : ٦٦) ولمحاولة التعرف علي دور النظام التعليمي في إرساء قيم محددة تتفق والنظام السياسي ، أجرت (نسرين البغدادي ، ١٩٨٧) دراسة ميدانية من طلاب المدارس الثانوية وهدفت إلي الإجابة علي التساؤلات الآتية : ـ

١ـ كيف ناقش المنهج (المقرر) * الدراسي في حقبة الستينيات القضايا التي طرحها في الحقبة الناصرية ؟

٢ـ ما رؤية النظام الحالي للقضايا التي طرحت من خلال المنهج في حقبة السبعينيات ؟

واستعانت بالمنهج التاريخي للتعرف علي ملامح النظام السياسي والتعليمي ، وانعكاس الأول علي الثاني ، وذلك في كل فترة زمنية من فترات الحكم المتعاقبة علي المجتمع المصري بعد قيام ثورة يوليو ، لكي تربط بين الأفكار والقيم الأيديولوجية للنظام السياسي في كل فترة ، وأفكار وقيم النظام التعليمي واعتمدت أيضا علي تحليل المضمون لكتب التاريخ والتربية القومية للصف الثالث الثانوي ، كما طبقت استبياناً للاتجاهات السياسية ، ومن أهم نتائجها :

١ـ أن المقررات الدراسية قد خضعت للتبديل والتعديل وفقاً للتوجهات السياسية للنظام الحاكم ، بحيث يتضمن المقرر كل تلك التوجهات ، فيردد القيم والأفكار التي يريدها الساسة ويحجب ما يرفضونه ، هذا بالنسبة لفترة الستينيات .

٢ـ في فترة السبعينيات ، فقد عمد النظام السياسي إلي تغيير القيم التي أكدها النظام السابق وذلك عبر المقررات الدراسية .

---

* تستخدم الباحثة كلمة المنهج كمرادف للمقرر ولعل الأخير هو ما تقصده ، حيث أن المنهج يتضمن جميع الفعاليات التي تقوم بها المدرسة ، بينما يقتصر المقرر علي ما يرد في الكتب الدراسية فقط وهو ما اعتمدت علية . ونظراً للخلط الذي يشيع بين الباحثين في استخدام هذين المفهومين ، يتم استبدال لفظ المقرر بالمنهج . (الباحث)

٣- تميزت اتجاهات الطلاب إزاء المشكلات السياسية بالسلبية وعدم الاهتمام .

وفي نفس الاتجاه التحليلي لمضمون المقررات الدراسية في الفترة من ٨٠ / ١٩٩١ ، حاول (إسماعيل عبد الكافي ١٩٩١) التعرف علي دور المقررات الدراسية في بث الهوية القومية . وطرح فروضاً مفادها أن المقرر الدراسي يسهم في تأكيد الهوية القومية ، كما أن النظام التعليمي يعد أهم النظم في التنشئة السياسية ، ولتأكيد مقولاته السابقة استعان بتحليل المضمون لبعض المقررات الدراسية ، وخرج بنتائج نظرية تحليلية تؤيد وجهة نظره ، منها أن المدرسة تعد أهم وأخطر المؤسسات في التنشئة السياسية ، وأن التعليم يؤدي إلي التماسك الاجتماعي نظراً لما تقوم به المدرسة من بث الهوية القومية للنشء ، كما أن المقررات تقوم بتقديم المعرفة السياسية للطلاب عن مصر والعالم العربي .

وفي دراسة ميدانية للتنشئة السياسية في المدارس المختلفة بمرحلة التعليم الأساسي بالقاهرة ، حاولت (نجده سليمان ١٩٩٢) معرفة محتوي المقررات الدراسية فيما يتعلق بالقيم التي يراد نقلها للنشء ، فمن خلال تحليل مضمون كتب المواد الاجتماعية والتربية الوطنية والتربية الدينية ، التي يدرسها طلاب السنوات الرابع والخامس الابتدائي والأول الإعدادي ، وأعدت استبياناً لقياس الثقافة السياسية الموجودة لدي هذه الفئات وكشفت النتائج عن :

من خلال تحليل المضمون للمقررات الدراسية أتضح أن هناك مجموعة من القيم الإيجابية التي تنشرها تلك المقررات ، مثل تقدير قيمة العلم والعمل والإنجاز والحرية ، والاعتزاز بالقيم الروحية ، وتقديس العمل الجماعي ، كما تضمنت أيضاً بعض المعلومات عن النظام السياسي والاقتصادي ، والتي من شأنها أن تزود الفرد بمعلومات وثقافة سياسية عن مجتمعة ، بينما كشفت الدراسة الميدانية عن غياب القيم السابق ذكرها ! كما أظهرت النتائج أيضاً

DO NOT COPY

وجود اتجاهات سياسية سلبية لدي أفراد العينة ، كما أن الاتجاه نحو الانتماء للوطن قد حصل علي درجة متوسطة لدي جميع أفراد العينة .وتشير نتائجها أيضا إلي تقلص دور المدرسة في هذا السياق ، وأن أقوي المؤسسات وأخطرها تأثيراً في عملية التنشئة السياسية هو التليفزيون ، وأضافت بأن المدارس الأجنبية تعمل علي تقليص الانتماء للوطن لدي طلابها . بينما كشفت دراسة (إسماعيل عبد الكافي ١٩٩١) عن أهمية دور المدرسة في التنشئة السياسية .

وللتعرف علي دور الجامعة في تنمية وتدعيم القيم لدي طلابها فقد اختار (هاشم فتح الله ١٩٩٢) كليات التربية ودورها في نقل أو تدعيم قيم معينة لدي طلابها ، وقد أعد استبياناً للقيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، وأجري دراسة استطلاعية وأخري ميدانية ، ومن أهم نتائج دراسته الاستطلاعية أن ٨٨% من أفراد العينة أجابوا بأن الحياة الجامعية لم تنم عندهم إلا قدراً ضئيلاً من القيم ، وعند سؤالهم عن السبب في ذلك قرروا أن المناهج المبتورة والتي لا علاقة لها بالواقع وطريقة التدريس التي تتسم بالجمود والآلية هي المسئولة عن ذلك ، وكشفت الدراسة الميدانية عن غياب دور الكلية في تنمية القيم خاصة السياسية لدي الطلاب .

وعن نوعية التعليم (حكومي ، خاص) وعلاقته بالانتماء ، اهتم (جمال حمزة ، ١٩٩٥ ص ١٢٤ : ١٣٦) بمناقشة الانتماء لدي طلاب المدارس الابتدائية (الحكومية والخاصة) ، واختار مجموعتين من التلاميذ ، المجموعة الأولي وعددها ٥٠ تلميذاً من المدارس الخاصة لغات (مجموعة تجريبية) ، والمجموعة الثانية وعددها ٥٠ تلميذاً من المدارس الحكومية (مجموعة ضابطة) من مدارس محافظة الجيزة ، وقد راعي تحقيق أكبر قدر من التكافؤ

DO NOT COPY

بين المجموعتين في السن ومستوي الذكاء ، والمستوي الاقتصادي الاجتماعي للأسرة ، ثم قام بتطبيق مقياس الانتماء للأسرة ، والجيران ، والمجتمع ، واستعان باختيار (ت) لمعرفة الفروق بين المجموعتين ، ومن أهم نتائجه :

١- لا يوجد فرق جوهري بين المجموعتين في الانتماء للأسرة .

٢- لا يوجد فرق جوهري بين المجموعتين في الانتماء للجيران .

٣- يوجد فرق جوهري عند مستوي ٠،٠١ بين المجموعتين في الانتماء للمجتمع ، والفرق إلي جانب المجموعة الضابطة ، مما يشير إلي أن مدارس اللغات لا تعمل علي تنمية الانتماء لدي تلاميذها .

في الدراسات السابق عرضها نجد هناك شبة اتفاق بين الباحثين علي تناول الموضوع بصورة عامة ، ولعل ذلك يرجع لحداثة تناوله ، والبحوث التى تناولته مازالت في طور الدراسات الاستطلاعية – إذا جاز التعبير – أو لاختلاف الأطر النظرية للباحثين ، فنجد من ينتمون للسياسة (إسماعيل عبد الكافي ١٩٩١ ، ونادية سالم ١٩٨٣) ، والاجتماع (نسرين البغدادي ١٩٨٧) والتربية (نجده سليمان ١٩٩٢ ، وهاشم فتح الله ١٩٩٢) ، وعلم النفس (جمال حمزة ١٩٩٥) وقد يعكس ذلك أيضا أهمية الموضوع علي المستوي المحلي ومدي الاهتمام بتناوله في إطار تخصصات مختلفة ، إلا أن النتائج التي أفضت إليها بعض هذه الدراسات كانت متضاربة ؛ فمثلاً نجد أن دراستي (ناديه سالم ، إسماعيل عبد الكافي) قد أتت بنتائج متشابهة ومتسقة مع التوجه السياسي وغير متسقة مع الدراسات الأخرى ، وربما يرجع ذلك إلي اعتماد كل من هاتين الدراستين علي منهج تحليل المضمون للمقررات الدراسية فقط ، وبناء استنتاج علي ذلك بأن هذا المضمون يؤدي بالضرورة إلي إرساء صفات وخصائص محددة في شخصية التلاميذ ، هذا دون توافر أية دلائل إمبريقية أخري تؤيد ذلك مثل إدراك التلاميذ لذلك المضمون وتمثلهم له ، أو تأثير القائم

DO NOT COPY

بنقل هذا المضمون (المدرس) . ويمكن الحكم علي مثل تلك الدراسات بأنها انطباعية تأملية .

بينما نجد دراسات أخرى أتت بنتائج متشابهة ومتسقة مع التراث والتوقعات النظرية ، ولعل ذلك يرجع إلي عناية الباحثين بالإجراءات المنهجية ، واستخدامهم المنهج الإمبريقي الذي يعتمد علي تقرير الأفراد لخبراتهم ووصفهم لها ، ومع تسليمنا بوجود تفاوت في مستوي الدقة المنهجية لتلك الدراسات فإن النتائج في مجملها تشير إلي تقلص دور المؤسسة التربوية في التنشئة السياسية ، وعدم فاعليتها في بث القيم الإيجابية لدي النشء بدءاً من المدارس الابتدائية والإعدادية إلي الكليات الجامعية . ومن الملاحظ أن القيم كمتغير تابع في تلك الدراسات لم تدرس بصورة مفصلة إلا في دراسة واحدة فقط هى دراسة (هاشم فتح الله) .وغني عن البيان أن هذه الملاحظات سوف تساعدنا علي تحديد مشكلة الدراسة بصورة دقيقة .

ثانياً دراسات تناولت دور وسائل الإعلام في التنشئة السياسية :

تشير نتائج الدراسات التي أجريت في المجتمعات المختلفة إلي دور وسائل الإعلام خاصة المرئي منها ، من حيث قدرته علي التأثير في نفوس المشاهدين تأثيراً ينفذ إلي مشاعرهم وسلوكياتهم .

ومن المعروف أن هذا التأثير لا يتوزع بمقدار واحد علي الجميع ، فهناك فروق بين الأفراد في هذا الصدد تتدخل في حسمها عناصر متعددة كالسن والجنس ، والخبرة السابقة ، والاتجاهات ... الخ ولكن يبقي التأثير موجوداً في كل الحالات .

وتجدر الإشارة إلي أن التأثير الذي نعنيه لا يمكن تتبعه بصورة جزئية (كأن نقول أن هذا الفيلم يؤدي إلي كذا ، أو كذا) ولكن التأثيرات الجزئية تتجمع

DO NOT COPY

فيما بينها وتجري عليها تصنيفات تلقائية مختلفة في نفوس المشاهدين ، فينتهي الأمر بها إلي إكسابهم توجهات معينة لا تلبث أن تصبح قواعد لسلوكهم ، وبهذا تحل قيم جديدة (سلبية كانت أم إيجابية) محل أخري قديمة .

وحول مناقشة تأثير وسائل الإعلام علي قيم المواطن المصري ودورها في ذلك ، اهتمت دراسات عديدة بفحص هذا الجانب . ففي دراستها المعنونة بتأثير وسائل الإعلام علي المشاركة السياسية * عند المواطن المصري ، اختارت (نادية سالم ، ١٩٨٠ ، ص ٨١ : ١٠٠) قريتين مصريتين ، إحداهما في الوجه القبلي والأخرى في الوجه البحري ، وقد راعت في اختيارهما تحقيق درجة من التكافؤ في متغيرات مختلفة ثم حاولت تقصي دور وسائل الإعلام في تشكيل الثقافة السياسية للقرويين ، وتوصلت إلي أن وسائل الإعلام لا تؤدي دوراً واضحاً في تنمية السلوك السياسي ، حيث يميل الأفراد إلي الحصول علي المعلومات السياسية من خلال الاتصال الشخصي وينظرون إلي المعلومات التي تنقلها وسائل الإعلام نظرة الشك وعدم الثقة ، كما أن وسائل الإعلام تعزل الأفراد عن واقعهم بقضاياه ومشكلاته الفعلية .

وفي دراسة أخري اهتمت بتقييم دور الدراما الإذاعية والتليفزيونية في مصر في عملية التنمية الحضارية للمجتمع ، اختار (عدلي رضا ، ١٩٨٣) ثماني مسلسلات تليفزيونية ، وستاً إذاعية ، الأولي شغلت ٤١ ساعة و١٥ دقيقة ، والثانية ٤٥ ساعة و١٥ دقيقة من البث التليفزيوني والإذاعي . واستخدم تحليل المضمون للتعرف علي القيم المتضمنة في تلك المسلسلات ، ومن أهم نتائجه :

أن مضمون تلك المسلسلات محمل بالقيم السلبية بصورة أكبر من تلك الإيجابية ؛ حيث بلغت نسبة القيم السلبية ٥٩,٣ % في مقابل ٤٠,٦ % للقيم

فى الواقع أدخلت الباحثة مفهوم المشاركة السياسة فى صياغتها اللفظية فقط و لم تتناوله على المستوى التجريبي (الباحث)

الإيجابية ، والقيم السلبية تمثلت في الدكتاتورية والأنانية ، والنظرة السوداوية للحياة ، وحب التباهي ، والمظهرية ، وربط الزواج بالمصالح ، والتمسك بالرأي والدعوة للحرب ، وعدم احترام القانون . كما أن غالبية المشاهد (في مسلسلات التليفزيون) لا تعبر عن الواقع ، وأكثر من نصف هذه المسلسلات لا تنتج في مصر وبالتالي لا تعبر عن قيمنا ولا قضايانا الوطنية .

وفي محاولة أخري للتعرف علي القيم الخلقية والاجتماعية المتضمنة في المسلسلات التليفزيونية العربية ، حاولت (سعدية مرزوق ، ١٩٩٢) حصر القيم التي أدركها أفراد العينة التي اختارتها من مدينة القاهرة ، يمثلون مراحل عمريه مختلفة ومستويات تعليمية واقتصادية مختلفة ، وطرحت عليهم سؤالاً لمعرفة المسلسلات المفضلة لديهم وأسباب ذلك .

وتكشف النتائج عن تفضيل العينة للقيم السلبية عن تلك الإيجابية ؛ فمثلاً بلغت النسبة المئوية لعدم الانتماء ٩٧ % ، والتفكك الأسري ٩٢ % والمادية ٩٠ % ، وعدم الأمانة ٨٥ % في حين بلغت النسبة المئوية للقيم الإيجابية التي يفضلها المشاهدون (العينة) الترابط الأسري ٦٧ % ، والانتماء ٥٥ % ، مما يشير إلي أن الأعمال التليفزيونية خاصة المسلسلات تبث قيما هدامة اكثر، و تنمي القيم الإيجابية بدرجة أقل .

وفي دراسة عن وسائل الاتصال الجمعي والوعي السياسي لدي عينة من القرويين ، حاول (علي طبوشي ١٩٨٦) التعرف علي الكيفية التي يدرك بها القرويين القضايا السياسية المحلية أو القومية والعربية ، وما مدي تقييمهم لها وتصرفاتهم نحوها . واعتمد في دراسته علي المسح الاجتماعي والمنهج التاريخي والمقابلة ، لقرية في محافظة المنوفية . وكشفت النتائج عن الافتقار

DO NOT COPY

إلي وجود نمط خالص من أنماط الوعي السياسي لدي القرويين ، فقد ارتبط الوعي السياسي بالممارسات اليومية المباشرة والمصالح الفردية .

يتضح من الدراسات السابق عرضها أن وسائل الإعلام لها دور لا يمكن تجاهله في التأثير علي الأفراد وتشكيل شخصياتهم ، أيا كان هذا التأثير سلبياً أو إيجابياً وتبين أن وسائل الإعلام في مصر – الراديو – التليفزيون – لا تسهم في تنمية القيم الإيجابية لدي الأفراد بقدر مل تعرض أعمالاً تحتوى علي قيم هدامة ، وأفكاراً لا تنتمي إلي الواقع المصري ، مما يسهم في إعداد جيل مغترب عن واقعة الاجتماعي والديني والثقافي ، كما أن وسائل الاتصال الجمعي عموماً لا تساعد علي بث الثقافة السياسية الصحيحة لدي الأفراد عن مجتمعهم بقضاياه ومشكلاته المختلفة ، مما قد يؤدي إلي انعدام الوعي والاغتراب .

من خلال الدراسات التي تم عرضها والتي أجريت في البيئة المحلية ، والتي اهتمت بتقييم دور بعض مؤسسات التنشئة السياسية (المؤسسة التربوية ، وسائل الإعلام) والتي تعكس الاهتمام المكثف – حديثاً – بدراسة هذا الموضوع من جوانب مختلفة ، وأن كان هذا الاهتمام قد أدي إلي إثراء معلوماتنا حول هذا الموضوع – أعني التنشئة السياسية – وتبين أبعاده وعناصره ، إلا إننا نستطيع أن نقرر أن عملية التنشئة السياسية لا يزال يحيط بها الغموض فهي لم تزل بعد بعيدة عن الإيضاح الكامل للكيفية التي تحدث بها وربما أمكننا تعيين مصادر هذا الغموض فيما يلي : -

١- إذا كان الأفراد يستوعبون عناصر الثقافة السياسية عبر المنشئين المختلفين فالتساؤل الذي يطرح نفسه هو : من هم هؤلاء المنشئون ؟ هل هي الأسرة ، أم الأقران ، أم المؤسسات التعليمية ، أم وسائل الإعلام ، أم كل هؤلاء ؟ وإذا كانوا كذلك فنحن بحاجة إلي معرفة الدور النسبي الذي يلعبه كل منهم .

DO NOT COPY

٢- إن بعض الباحثين قد تعامل مع هذا الموضوع في إطار إجراءات منهجية محددة (مثل تحليل مضمون المقررات المدرسية) وهذه الإجراءات المنهجية وإن كان لها شرعيتها في معالجة بعض الظواهر إلا أن مجرد الاعتماد علي تحليل المضمون فقط للمقرر الدراسي – مثلاً وبناء استنتاجات تتعلق بالمتلقين لهذا المضمون دون الاستناد إلي أية بيانات إمبريقية لهؤلاء المتلقين يعد أمراً غير مقبولٍ من الناحية المنهجية .

٣- إن مفهوم التنشئة السياسية كما تناولته الدراسات قد أختلف من باحث لأخر ، فقد تناوله البعض من منظور الاتجاهات ،بينما استنتجه البعض الآخر من خلال المشاركة السياسية ، ولكن من المرجح أن دراسته من خلال الثقافة السياسية يعد مطلباً أساسياً إذ إنه بدون معرفة مستوي استيعاب الأفراد للثقافة السياسية يتعذر الحديث عن الاتجاهات السياسية والمشاركة السياسية بصورة دقيقة .

٤- تعد القيم السياسية أحد أهم نواتج التنشئة السياسية ، ويمكننا ملاحظة الغياب الواضح لتحديد مفهوم القيم السياسية في الدراسات المختلفة ، مما انعكس علي طريقة قياسها ، فقد تناولها البعض في صورة كلية من خلال بضعة بنود ! فضلاً عن منهج قياس القيم الذي اعتمد علي مستوي التفضيل (***Preference***) حيث التوقف عند معرفة القيم المفضلة أو غير المفضلة ، وذلك لا يشير إلي الاستدماج الحقيقي للقيم والالتزام بها ، ويبدو من الضروري النفاذ إ‘لي مستوي الالتزام ***Commitment*** علي اعتبار أن ذلك يعبر عن أرقي مراحل استيعاب القيم حسبما يري (كرا ثر هل وزملاؤه). (فؤاد أبو حطب ١٩٧٤ ، ص ٦٤)

DO NOT COPY

DO NOT COPY

الفصل الثانى

المفاهيم الأساسية

أولاً: تحديد مفهوم التنشئة السياسية

- **تعريف التنشئة السياسية .**
- **مضمون التنشئة السياسية.**
- **الثقافة السياسية.**

- الوعي السياسي ٠
- نحو تعريف إجرائي للوعي السياسي ٠
- مصادر التنشئة السياسية :
- الأسرة ٠
- المدرسة ٠
- جماعات الرفاق ٠
- وسائل الإعلام ٠

DO NOT COPY

أولا: تحديد مفهوم التنشئة السياسية :

المتتبع لتاريخ الفكر الإنساني يلمس اهتماما واضحاً بالتنشئة السياسية كإحدى العمليات التى يقوم بها المجتمع (المنشئون) في ثنايا عملية التنشئة الاجتماعية ، ففي الحضارات المختلفة (الفرعونية - الإغريقية) نجد دلائل علي انشغال الفلاسفة والمفكرين بالبحث عن أنجح السبل لتنشئة وإعداد طبقات اجتماعية بعينها سياسيا وعقليا ، أو تحديد مواصفات المواطن الصالح في المجتمع ، كذلك العناية بتربية طبقة الحكام أو الصفوة باعتبارها محور الحياة الاجتماعية ٠ (عبد المنعم المشاط ١٩٩٢ ، ص٥٤)

علي الرغم من هذا الاهتمام المبكر – علي المستوي الفلسفي – بهذه العملية نظراً لدورها الحيوي في تحقيق الاستقرار داخل المجتمعات المختلفة ، إلا أن المفارقة المثيرة للدهشة هي أن الاهتمام بدراسة التنشئة السياسية بصورة علمية منظمة لم ينشط إلا حديثا - في الستينيات - من القرن الحالي ٠

ويفسر البعض أسباب تأخر الاهتمام بدراسة هذا الموضوع بأن اهتمام علماء السياسة بالمنهج السياسي القانوني فقط قد حال دون البحث في الجوانب النفسية للسلوك السياسي ، وتوقف الأمر عند رؤية السلوك السياسي من منظور القواعد القانونية والدستورية فحسب ، فيتم تحليل الظواهر السياسية كما لو كانت قوالب جامدة لا تتخذ سوي مساراً محدداً ومعروفا ٠ (محمد علي محمد" ا" ١٩٨٠ ص ١٦٠) ٠ واستمرت وجهة النظر تلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومع تزايد أعداد الدول التي استقلت أصبحت كل منها في حاجة إلي خلق نظام قيمي وفكري خاص بها لربط مواطنيها بنظامها السياسي ونخبة الحاكمة ٠ (عبد المنعم المشاط ١٩٩٢ ،ص ٥٨) ونتيجة لذلك ، ومنذ الستينيات من هذا القرن بدأت العديد من دول العالم – الثالث بصفة خاصة – في بناء المؤسسات السياسية اللازمة لعملية التنمية السياسية ٠ ولم يكن ذلك ليتم بمنأى عن الفرد الذي صار محور اهتمام النظم السياسية ٠ (عبد المنعم المشاط ، ١٩٩٢ ص٥٦ :٥٨)

تعريف التنشئة السياسية :-

يتضح مما سبق أن مفهوم التنشئة السياسية قديم كفكرة تناولها الفلاسفة والمفكرون ، حديث كصياغة محددة يمكن دراستها بصورة موضوعية ، ويشير (هربرت هايمان " *Hyman,H,١٩٥٩ ، P*) ، ـ وهو من رواد الباحثين فى التنشئة السياسية ـ في كتابه المعنون بالتنشئة السياسية ،إلي أن تلك العملية تعنى مجموعة الأنماط الاجتماعية التي يتعلمها الفرد من مؤسسات المجتمع وتساعده علي التعايش مع المجتمع .

وقبل أن نستطرد في ذكر التعريفات المختلفة التي أوردها الباحثون لهذا المفهوم نود أن نشير إلي أن هذه التعريفات يمكن إدراجها في فئتين طبقا للهدف الذي ارتآه أو تصوره الباحثون للتنشئة السياسية وهما: الفئة الأولي :-

والتي تري أن هذه العملية تهدف إلي الحفاظ علي الوضع القائم أو تدعيمه ، فهي تعني بتلقين الأطفال القيم والمعايير والأهداف المستقرة في وجدان المجتمع (أو النظام السياسي)بما يضمن بقاءها واستمرارها عبر الزمن . فنجد تعريف " هربرت هايمان " يدور في نفس الاتجاه ، كما يطرح " كنيث

لانجتون " Langton , ١٩٦٩,P.٤)وجهة نظر مشابهة فيري أن التنشئة السياسية تعبر عن كيفية نقل المجتمع لثقافته السياسية من جيل إلي جيل.

ويضيف (فريد جرينشتين) أنها تعني بالتلقين الرسمي وغير الرسمي المخطط وغير المخطط للمعارف والقيم والسلوكيات السياسية عن طريق المؤسسات السياسية والاجتماعية . (Greenstien, ١٩٦٨, P٥٥١)كما يري (هيوسن وبوستليفت) ، أنها تضم أشكالاً مختلفة من التربية السياسية الشكلية وغير الشكلية للقيم والمعارف السياسية وذلك في كل مراحل حياة الفرد . (Husen & Postlefuite . ١٩٨٥ ,P.٣٩٧٤)

ويبدو واضحاً في التعريفات السابقة ذلك التداخل والخلط بين التنشئة السياسية والتربية السياسية Political Education ، حيث تعني تلك الأخيرة عملية النقل المقصودة للمعلومات والقيم اللازمة للمشاركة في العملية السياسية ، مثل ما تقدمه المدرسة من برامج محددة في إطار مقرر دراسي محدد مثل التربية المدنية Civil Education(Husen & Postlefuite, ١٩٨٥.P٣٩٧٤) . ويوضح البعض الفرق بين التنشئة السياسية والتربية السياسية في أن الأخيرة أخص من الأولي ، وهي أقرب ما تكون للتربية الوطنية التي تعني بتلقين مجموعة المعلومات التي تستهدف إيقاظ المشاعر الوطنية وإنماء الرابطة بين الوطن والمواطن ، والتعريف بحقوق وواجبات الفرد .(إبراهيم الدسوقي أباظة ١٩٧٩ ص ١٧٣) . ووفقا لذلك فالتربية السياسية تختص بتقديم خبرات لفئات محددة وفي إطار مؤسسات محددة ، وبالتالي فهي حالة أخص من التنشئة السياسية لأن تلك الأخيرة تشمل كافة فئات المجتمع عبر كافة المؤسسات ويؤكد البعض علي أن التنشئة السياسية أشمل وأعم من التربية السياسية نظرا لاعتمادها علي كافة المؤسسات (الرسمية وغير الرسمية) في نقل القيم والمعايير للنشء . (مهدي أمين دياب ١٩٩٦، ص٢٢) .

فالتنشئة السياسية وفق هذا المعني لا تقتصر فقط علي عمليات التلقين ، مما يجعلها قاصرة علي فئات محددة كالمثقفين أو الصفوة السياسية فقط ، وتحرم باقي الفئات الأخرى ٠ولعل السبب في تبني بعض الباحثين أو

المنظرين لوجهة النظر التي تشير إلى أن فحوى تلك العملية هو عملية تلقين المعلومات السياسية ، قد يكون مرجعها الظروف المجتمعية السائدة في مجتمعاتهم أو النظم السياسية المهيمنة كالاشتراكية أو الدكتاتورية مثلا٠ ومن المرجح أن ذلك قد يكون مسئولاً عن الخلط والتداخل بين مفهومي التربية والتنشئة واستعمالهما للدلالة علي نفس المعني .

الفئـة الثانية : -

وتركز علي أن هدف التنشئة السياسية هو محاولة التغيير أو خلق الظروف الملائمة . ويؤكد أصحاب وجهة النظر هذه أنها عملية يكتسب الفرد من خلالها الاتجاهات والمشاعر نحو النظام السياسي ، وهي تتضمن :

- المعرفة (ماذا يعرف الفرد عن النظام السياسي ؟)

- المشاعر (ما هو مدي التزام الفرد وولائه للوطن ؟)

- الكفاءة السياسية (ما هو الدور الذي يجب أن يقوم به

الفرد في النظام السياسي (*Coleman , J* ١٩٦٥ , *P* ١٨) .

ويري (كليرى) أن عملية التنشئة السياسية هي وظيفة النظام السياسي وكل النظم التي تحاول الحفاظ علي ثقافتها ، وهي عملية تطبيع المواطن علي الثقافة السياسية ونتاج هذه العملية هو خلق قيم ومعايير واتجاهات نحو النظام السياسي بمختلف مستوياته المحلية والقومية (*Cleary,R.*١٩٧١*P*٥٢٨)وفي " معجم المصطلحات السياسية " نجد تعريف ا لتنشئة السياسية بأنها عملية تعلم يكتسب الأفراد بمقتضاها مجموعة من التوجهات وهي من المنظور الاجتماعي بمثابة السبيل إلي الإبقاء علي أو تغير الثقافة السياسية (نيفين مسعد وآخرون ١٩٩٤ ص١٩٠)

وإزاء الاختلاف بين الباحثين وهم بصدد تحديد المفهوم ، يستتبع ذلك اختلاف مماثل في التعامل الإجرائي ٠ وكما سبق أن لاحظنا إمكانية تصنيف تعريفات التنشئة في فئتين ، والأخذ أو تبني أي منهما يشير إلي تحيز لفئة معينة . وهو ما يمنعنا من تحقيق فهم متكامل ورؤية شاملة ، خاصة وأن

DO NOT COPY

المفهوم ذاته يعبر عن عملية معقدة لذلك فإن التحديد الإجرائي قد يكون هو الطريق الملائم . وقد يساعدنا في ذلك استخلاص بعض الخصائص التي أوردها الباحثون أو ما تميزت به تعريفاتهم فنجد أن التعريفات المختلفة قد ركزت علي :- أنها عملية من شأنها إكساب الطفل معارف وقيم واتجاهات سياسية

- أنها تساعد علي تغيير أو دعم الثقافة السياسية السائدة .
- أنها عملية مستمرة طوال حياة الفرد .
- تقوم بها كافة مؤسسات التنشئة في المجتمع .

وفي ضوء هذه الخصائص يمكن صياغة تعريف التنشئة السياسية بأنها تلك العملية التي تسعي كافة مؤسسات التنشئة من خلالها إلي إكساب الفرد (طفلاً –فمراهقاً – فراشداً) القيم والمعايير والتوجهات السياسية اللازمة لتحقيق التكيف مع أهداف المجتمع ، ليس فقط من أجل الحفاظ علي الوضع القائم في نقل الثقافة السياسية من جيل لآخر بصورة جامدة والية ، لكن تتضمن كذلك عملية تغيير أو خلق الثقافة السياسية الملائمة لاستقرار المجتمع .

مضمون التنشئة السياسية :

هناك أربعة مجالات للتنشئة السياسية هي :

١- الثقافة السياسية :- وهي ما يتعلمه الفرد من معلومات بهدف تنمية المفاهيم السياسية (عن مجتمعه المحلي والقومي وكذلك العالمي) ومعرفة الحقوق والوجبات ، والقيم والمعايير والتوجهات الضرورية للتكيف مع المجتمع (النظام السياسي)، تشير الثقافة السياسية إلى "منظومة القيم والمعتقدات السائدة لدى أفراد مجتمع معين، والتي تحدد اتجاهاتهم نحو السلطة السياسية ورموزها داخل المجتمع، والتي تحدد أيضاً سلوكياتهم السياسية. وتتشكل الثقافة السياسية كانعكاس للوجود الاجتماعي للأفراد، كما تعكس خصائص البنية الاقتصادية – الاجتماعية

السائدة في المجتمع خلال مرحلة زمنية معينة. وتسهم توجه الثقافة السياسية بهذا المعنى – ووفقاً لطبيعة اتجاهات الأفراد نحـو السلطة – في تشكيل اتجاه الرأي العام نحو الظواهر المختلفة المتعلقة بالسلطة".

٢ - مهارات التفكير السياسي :ويقصد بها تنمية قدرة الفرد علي استخدام المهارات العقلية في وصف وتفسير وتحليل وتقييم الظواهر والمعلومات والحقائق السياسية ، التي يقرؤها أو يشاهدها، كذلك القدرة علي استخدام حق التأييد أو المعارضة.

٣-الاتجاهات السياسية :وهي قدرة التنشئة علي تكوين وبلورة اتجاهات سياسية لدي الفرد ، تساعد علي تحديد موقفه إزاء الأشخاص أو الموضوعات أو الأحداث السياسية .

٤-مهارات المشاركة السياسية :وهي قدرة التنشئة علي تنمية مهارات لدي الفرد مثل الاتصال بالآخرين والتعاون معهم وتعلم فن الحوار السياسي أو التفاوض، والقدرة علي الإقناع أو التأثير في الآخرين ***Renhon,١٩٧٧,P١٩٣:١٩٥***

وستتركز مناقشتنا علي مفهوم الثقافة السياسية نظراً لكونه يمثل القاعدة الأساسية التي تنبثق من خلالها الاتجاهات السياسية، وتنمو من خلالها مهارات التفكير السياسي ، ومن ثم المشاركة السياسية ، فالثقافة السياسية هي الأساس الذي يجب فحصه حتي يمكننا فهم وتقييم العناصر الأخرى وقد يكون من المفيد أن نحاول الوقوف بصورة مفصلة على مفهوم الثقافة السياسية وكيفية قياسها . وقديكون من المفيد التعرف على مفهوم الثقافة والمجتع اولا ،

أولاً- الثقافة والمجتمع:

الثقافة سمة تميز الكائن البشري عن غيره من المخلوقات، وهي التي تحدد سمات المجتمع البشري عن المجتمعات الأخرى. ويتطلب الأمر توافر عدة

عوامل تتضافر فيما بينها وتتفاعل لتشكل في النهاية السمات الخاصة بالمجتمع، وبالتالي بأفراده دون غيره، وتنقسم العوامل إلى مجموعة العوامل الطبيعية التي لا دخل لإنسان فيها؛ كعامل الجنس والنوع واللغة والعوامل الجغرافية والاقتصادية. ومجموعة العوامل الدينية؛ كل ما يتصل بالعقيدة الدينية وفهمها. والعوامل الدنيوية: كل ما يتعلق بتفاعل الإنسان مع ما حوله في البيئة؛ من إصلاح، وتطور نظم الحياة وغيرها. وهذه تتفاعل معا لتكوين الشخصية القومية التي تعكس سمات المجتمع الذي نشأ وعاش فيه، فتتفاعل معا فيه ويتفاعل معها مؤثراً فتشكل في النهاية الثقافة العامة للمجتمع والمميزه له عن المجتمعات الأخرى. لذا فسمات المجتمع الصحراوي تختلف عن سمات مجتمع المناطق القطبية الثلجية، عنها في الصناعي أو الريفي أو الساحلي ومن ثمة سمات أفراد كل منها، وتتباين هذه فيما بينها في درجة التأثير والتشكيل الثقافي للمجتمع وتفاعل الإنسان معها. وعليه فالمجتمع لفظ عام، والثقافة هي التي تحدده، وتفرق بين مجتمع وآخر.

وقد أقدم البعض على تفصيل العوامل السابقة إلى عوامل لغوية[1]، وتاريخية، وجغرافية، والاقتصادية، وسياسية، ودينية، وعنصرية، وأحدثها عوامل التقدم[2] الحضارية.

---

[1] يقلل البعض من أهمية عامل اللغة كأحد القوى الثقافية الفاعلة في العملية التربوية في المجتمع، وفي نظامه التعليمي المنهجي، وهذا خطا فادح : أيمكن تعليم العادات والتقاليد والمعتقدات باستخدام الفرنسية في المجتمع المصري مثلا ؟ بالقطع لا . فالحضارة الإسلامية بدأت بنشر الدين، وبالتبعية انتشرت لغة الدين وتفقه فيها العرب والعجم وما كان من علماء المسلمين من ترجمة علوم ومعارف الأمم والحضارات السابقة والمعاصرة للإسلام إلى اللغة العربية وما أضافوا إليها وما ابتكروه من جديد العلوم، وكله استخدم العربية في التعبير والتعليم، مما يؤكد على أهمية عامل اللغة في حفظ الثقافة وعلومها وبالتبعية التربية القائمة في المجتمعات، ولم تتراجع الحضارة الإسلامية إلا من بعد تفوق أعداء الدين في بث الحياة للغات الأخرى، وهجر استعمال اللغة العربية التي وحدت بين العربي والأعجمي في أسلوب التفكير وتصوراته الفكرية، ومن ثم سلوكه وحياته.

٢ وقد اجتهدت المؤسسات الغربية العاملة بجميع جوانبها وعلى جميع المستويات لا سيما السياسية والتربوية الثقافية في ترديد وترويج مقولات (جوهرها أفكار) في المؤسسات الأخرى في الدول النامية، كالإشارة للثقافة التقليدية وضرورة العمل على استبدلها بثقافة حديثة، كذلك غرس فكرة المجتمع المدني، ليحل مقام المجتمع الديني. وهذه المقولات لا تعني مطلقا الاهتمام بتجديد او تطوير أو تحسين الثقافة السائدة بل تعني التخلي عن القيم الأصلية للثقافات الأخرى الموصوفة بالتقليدية كما تعني فكرة المجتمع المدني فصل وعزل الدين عن حياة البشر وتعاملاتهم وعلاقاتهم فيما بينهم من جانب وفيما بينهم وبين مقومات البيئة وعناصرها من جانب

ثانياً- المقصود بالثقافة:

الثقافة: من (ث، ق، ف) ثقف: يثقف، ثقفاً: صار حاذقاً فطناً ...، وثقف الشيء: ظفر به، وفي التنزيل العزيز (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)، ثقف الشيء: أقام المعوج منه وسواه. ثقف الإنسان: أدبه وهذبه وعلمه. تثقف: مطاوع ثقفه، ويقال: تثقف على فلان وفي مدرسة كذا. والثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها

والثقافة: ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والقيم والاتجاهات، وأساليب التفكير والعمل، وأنماط السلوك، وكل ما ينبني عليها من تجديدات أو ابتكارات أو وسائل في حياة الإنسان مما نشأ في ظله كل عضو في الجماعة، ومما ينحدر إلينا من الماضي، فنأخذ به كما هو، أو نطوره في ضوء ظروف حياتنا وخبرتنا

المكونات الثقافية: تضم جميع الجوانب المادية وغير المادية في مجتمع من المجتمعات كالمؤسسات الاجتماعية وأنماط السلوك وعادات الناس وآمالهم، الأفكار والمعتقدات والقيم وأدوات الإنتاج ولغة التفاهم ووسائل الاتصال بين أفراد الجماعة. ومن ثمة؛ فهي تتناول جميع الجوانب الفكرية والنفسية والخلقية والسلوكية المكونة في النهاية لشخصية الفرد وهويته الثقافية الكبرى العامة (القومية) والتى تميزه عن الأمم الأخرى، وأيضاً هويته الصغرى المميزة له بين المحيطين به داخل المجتمع لذلك فحين القول بـ: "الهوية الثقافية"، أو "الهوية الشخصية" ندرك ذلك البعد الثقافي العميق للجذور الفكرية والأخلاقية والعادات والتقاليد وأسلوب التعامل وطريقة التفاهم والاتصال واللغة مع البيئة والأفراد الآخرين، والأساس الذي تغذي به صلب

آخر. والمتأمل للمجتمع الغربي وما صار إليه على النحو الذي نراه عليه الآن من تقدم من جانب ودمار فى جوانب أخرى.

الفرد وامتد عوده، ومنها أيضاً يتفاعل مع البيئة ومكوناتها عبر السلوك الصادر عنه.

أنواع الثقافة وطرق اكتسابها:

وقد انبثقت هذه الفعالية التثقيفية مع نشأة المجتمعات الإنسانية، وتطورها، ويمكننا تصنيف هذا التثقيف إلى؛ التثقيف العام غير المباشر (التربية العامة)، والتثقيف الخاص.

أولاً- التثقيف غير المباشر (التربية العامة): ويتكون بواسطة ما منحنا الله تعالى إياه بالحواس المعروفة، فمعظم ما يكتسبه الناس من ثقافات عامة وعلوم ومعارف ومهارات عادات وعقائد وأخلاقية ببواسطة حواسهم المعروفه ما هو إلا تثقيف عام، متاح لكل البشر كافة، ينبوعه الثقافي الكون المحيط وهو مصداقاً لقولِ الله- عزَّوجلَّ-: "... قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ..." الآية، دعوة للمعرفة والتأمل والتفكر والتدبر، فنستمد المعارف والعلوم والتجارب والخبرات حتى تنقض الاجيال وهذه حكمة الله في خلقه. وهذا التثقيف بيِّن في درجته ومقداره حسب قدرات الفرد نفسه وملكاته التي يكتسب بها هذه المعارف والعلوم وتتميز هذه بالحرية فكراً وعلماً. وأعظم ما تمتاز به هذه الثقافة الحرية الطبيعية المطلقة فلا رقيب ولا حدود ولا مكان أو زمان يقيدها أو يوجهها، ومن ثمة فلا سيطرة إلا سيطرة الأنا على الذات فيها. ولا مجال لسيطرة خارجية (من الآخر) عليها في الكم أو الكيف.

ومع تطور وتقدم المجتمعات الإنسانية أصبحت تتم بصورة مباشرة بواسطة المؤسسات التعليمية بكافة أنوعها.

أولاً- التربية والثقافة:

التربية هي السبيل الآخر لاكتساب ثقافة المجتمع، وليست عملية مستحدثة إنما قديمة ممتدة بامتداد التاريخ المرتبط بالأمم والمجتمعات الإنسانية وما تتميز به من سمات وإحداث وإنتاج، وطبيعة سلوكية لأفرادها، مما شكل معها ثقافته

الخاصة ذات البعد والمضمون المؤثر في التربية، والعلاقة بينهما وطيدة بلغت مداها من القِدَمِ حتى أكدها سقراط عندما قرن المعرفة بالفضيلة، إيماناً منه بـ: أن من يقتنع بشي يتحمس لفعله والسلوك فيه ويدفع الآخرين إلى فعله أيضاً وبنفس الدرجة من الحماسة.

فالتربية: من مادة (ر. ب. و) ومنها (رباه) بمعنى نماه، وربى فلاناً: غذاه ونَشَّأَهُ. وربى: نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية. وهي"... ليست قاصرة على ميدان واحد، ... بل توجد في جميع الميادين والبيئات والأماكن التى يعيش فيها الفرد ... ، ولا ينفصم مفهوم عملية التربية عن مفهوم عملية التعليم وهذا لأن؛ التعليم: ورد من (عَلِمَ) الشيءَ: عرَفَه، وفي التنزيل العزيز (لا تعلمونهم الله يعلمهم)، ومنها (تَعَلَّم) أتقَنَه وعرَفَه. ومنها (العِلْم) أي إدراك الشيْ بحقيقته. والعلم: اليقين. والعلم نور يقذفه اللهُ في قلب من يحب. والعلم: المعرفة، ويقال للإدراك الكلي والجزئي، أو البسيط، ومن هنا يقال: عرفتُ اللهَ دون علمتهً، ومنها المُعَلِّمُ: مُلْهِمُ الصواب والخير

فالتعليم في معناه الشامل هو: " اكتساب أفراد المجتمع للمعارف والمهارات والمعتقدات والقيم وأساليب الحياة، فإن أي نظام اجتماعي يريد أن يتواءم ما يتعلمه ويكتسبه الفرد في المدرسة مع الفلسفة الاجتماعية التي تنتهجها السلطة الحاكمة في فترة زمنية معينة، وبهذا تنعكس طبيعة وهوية النظام الاجتماعي بشكل كلي أو جزئي في النظام التربوي... وأما المنهجي فمن(ن. هـ. ج) نسبة للمنهج بمعنى الطريق الواضح، وفي التنزيل العزيز (لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً). والمنهج الخطة المرسومة (محدثة)، ومنها منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوها، وجمعها مناهج. ومما سبق، يتضح لنا:

أن التربية لا تترادف والتعليم، فالتربية أعم وأشمل من التعليم المقتصر على المعارف والعلوم، بينما التربية تهتم بجميع الجوانب المادية والمعنوية للفرد المستهدف لها. وجوهر الدلالة الكامن في " التربية "، ودلالة وصفها بـ" التعليمية " وتأكيد الوصف بوصف آخر له دلالته اللغوية بكونها " المنهجية" مما يجسد أهمية الدور الذي تؤديه كأحد سُبُل اكتساب الناس لعلومهم ومعارفهم وخبراتهم وعادتهم وقناعتهم وعقيدتهم ومهارتهم. ومن هنا أصبح كل مجتمع

حريصاً- بالتبعية- على إعداد السياسة التعليمية الخاصة به المنبثقة من ثقافته، ومعتقداته الفكرية، وحسبما ينبني عليه تصوره لطبيعة الوجود، وحقيقة الحياة والإنسان، وحدود وإطار المجتمع الإنساني.

ومما سبق جميعاً من تعريف بالثقافة ومفرداتها، وعلاقتها بالمجتمع، وأنواعها، وطرق اكتسابها، يمكننا تعريف" الثقافة السياسية بأنها:

" مضمون الثقافة المجتمعية المقصود- موروثة، جديدة مطورة- تنشئة أفراد المجتمع عليها بعملية تربوية معدة حسب خطة ذات أبعاد وأركان خاصة محددة، تحفظ له كيانه وموروثاته، وتعمل على تطويرها، وتعبر عن أهداف وغايات المجتمع المستقبلية ".

. ومن ثمة فالمضمون الثقافي التربوي ما هو إلا جسرٌ وعملية تواصل واستمرار بين كيان وذات المجتمع وأبنائه من جانب، وبين المجتمع وأهداف في الاستمرار والبقاء وتحقيق الحضارة من جانب آخر. فهي عملية تواصلية داخلية بين (الذات والأنا)، وفي نفس الوقت وعملية حصانة ومناعة طبيعية واقية للمجتمع من الضعف والهدم والزوال. إضافة إلى؛ أن السياسة التعليمية من وحي واعتقاد الراسمين لها أو معبرة عن المصالح الخاصة لهم أو المصالح القومية لبلادهم ومجتمعاتهم. وهي لُبُّ العملية التربوية وشأن خاص بالمجتمع القائمة فيه بذاته. وما هي إلا مقررات تعبر عن الأهداف المقصودة من عملية التربية، وهي الأساس المهيمن على في المجتمع، والإنسان المتميز بسماته القومية (المجتمعية) عن غيره من أبناء المجتمعات الأخرى. فالتربية عملية الارتباط المقصود بالثقافة السائدة في مجتمعها وتضم على حدٍّ سواء التربية المقصودة المنهجية المباشرة عبر المؤسسات التعليمية أو التربية غير المقصودة والمكتسبة من البيئة الأسرية والأهل والجيران وغيرها. إن كانت الثقافة التربوية مصدرها المجتمع ذاته فهي في حالة توافق وتكامل مع الذات(المجتمع)، في حين أن أي خلل أو جنوح فيها يعتد تناقض مع الأنا

الثقافة السياسية: ترجع الجذور الفكرية للبحث في الثقافة السياسية إلي كتابات الأنثروبولوجيين أمثال (روث بندكت ***Ruth Benedict*** ، ومارجريت ميد ***Margaret Mead*** حول " الطابع القومي " والتي عنيت بالكشف عن

القيم والمعتقدات والممارسات الفريدة التي تميز ثقافة ما . وتطور هذا المفهوم علي يد " الموند وفيربا " ١٩٥٦ ,Almond & Verba ، ليشيرا به إلي ذلك النمط الخاص من التوجهات للأحداث السياسية في أي نظام سياسي محكم ، (Welch,s.,. ١٩٨٧, P.٤٧٩). وقد تعددت تعريفات الثقافة السياسية طبقاً لتوجه الباحثين واهتمامهم ، ويرصد البعض ثلاث دلالات أساسية للمفهوم تتمثل فيما يلي :(المنصف وناس ١٩٩١،ص٨ :١٠)

الدلالة الأولي :

أن كل ثقافة تتخذ من المجال السياسي فضاءً معرفياً تهتم باتجاهاته ومسائلة الكبرى ، وتتمثل الثقافة السياسية من خلال ثلاث محددات هي:

١- محدد معرفي : ويتمثل في طبيعة المعلومات والمعارف ذات الطابع السياسي .

٢- محدد عاطفي : ويتمثل في طبيعة العلاقات الممكنة بين المواطنين والقادة والمؤسسات .

٣- محدد تقييمي : ويمثل مختلف الأحكام والتقييمات التي يصدرها الأفراد علي الظواهر والمؤسسات .

واستناداً إلي هذا التوجه نجد أن الثقافة السياسية معنية باتجاهات الأفراد نحو النظام السياسي وفي نفس السياق نجد " ألموند وفربا " قد استعارا فكرة مكونات الاتجاه (معرفي – انفعالي –سلوكي) وقاما بتصنيف نماذج الثقافة السياسة إلى ثلاثة نماذج هي :ثقافة مشاركة Participant ، وثقافة تابعة Subject وثقافة محددة Parochlal . فحينما تكون اتجاهات المواطنين إيجابية نحو الموضوعات السياسية فإن الثقافة السياسية في المجتمع تصنف علي أنها مشاركة مثلما الحال في المجتمعات البريطانية والأمريكية ، أما حينما تكون استجابة المواطنين للنسق السياسي سلبية فإن الثقافة السياسية تصبح تابعة ، ذلك لأنهم لا يمارسون أي تأثير في الموضوعات السياسية وإنما يتأثرون فحسب ، وأخيراً حينما لا يجد الفرد أية علاقة بينه وبين النسق السياسي وليست عنده معلومات كافية فإن الثقافة السياسية في هذه الحالة تصبح محدودة .(محمد علي محمد "أ١٩٨٠ ص١٦٤) وفضلاً عن كون

التصنيفات السابقة هي تصنيفات لنماذج غير واقعية لأنة لا يوجد في أي مجتمع نموذج واحد ، وإنما مزيج من تلك النماذج ، وكما يري " ميشيل تومبسون وزملاؤه " أن هذا التصنيفات قد مكنت الباحثين من عقد مقارنات عبر قومية بين الثقافات المختلفة ، ولا تصلح لتفسير التنوع داخل الأمة الواحدة (مشيل تومبسون وأخرون ،١٩٩٧ ، ص ٣٥٢) كما أن مجرد الاعتماد علي معرفة اتجاهات الأفراد نحو النظام السياسي لا يصلح لتفسير الثقافة السياسية والتعبير عنها بدقة . (*Welch, S,.* ١٩٨٧ *,P* ٤٨٢ ;٤٨٣)

الدلالة الثانية : يتم إكساب الثقافة السياسية للأفراد في المراحل المبكرة من العمر عبر عملية التنشئة الاجتماعية ، فالأفراد يتعلمون المواقف السياسية في وقت مبكر من حياتهم ، حيث يكون تعلمهم لها بشكل عام ، وبعد ذلك تأخذ الخبرات التي تعلموها في الظهور . ويعتمد أنصار هذا التوجه في تفسير الثقافة السياسية علي الفلسفة الاشتراكية التي تؤكد علي تلقين المبادئ والقيم السياسية في مراحل مبكرة من عمر الفرد.

ومع تسليمنا بأهمية الخبرات المبكرة في تشكيل شخصية الفرد بصورة عامة ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بالدور الإيجابي للفرد في تقبل وتمثل الأحداث الخارجية . فالثقافة السياسية لا تنتقل من جيل لأخر كمسلمات وإنما تتعرض لقدر من التغير يعكس التغير الاجتماعي ، كما أنة لا يمكننا اعتبار الأفراد مجرد آليات أوتوماتيكية تتلقى المعايير والقيم السياسية ثم تتمثلها بشكل سلبي . وإن كان البعض يقلل من أهمية خبرات الطفولة في هذا الشأن ، فيذهب (ميشيل تومبسون وزملاؤه) " ١٩٩٠ *Thompson ,M ,etal* " إلي تهميش خبرات الطفولة في تشكيل التوجهات السياسية ، في مقابل التركيز علي خبرات الراشدين في هذا المجال . (مشيل تومبسون وآخرون ١٩٩٧ ص٣٥١) لكن خبرات الطفولة لا يمكن تجاهلها في اكتساب التوجهات العامة من الأسرة ثم تأتي الخبرات الأخرى من خلال المؤسسات الأخرى .

الدلالة الثالثة :

DO NOT COPY

وهي الأكثر دقة في التعبير عن الثقافة السياسية حيث تضع المفهوم في إطار مؤسسي لتجعل منه محدداً لمفهوم الدولة ونموذج الشرعية علي نحو ما يري " لوسيان باي " ***Lucien Pye*** فالثقافة السياسية هي مجموع الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التي تعطي نظاماً ومعني للعملية السياسية وتقدم قواعد مستقرة تحكم تصرفات أعضاء النظام السياسي . ويتفق هذا مع تعريف معجم المصطلحات السياسية للثقافة السياسية " فهي مجموعة المعتقدات التي تخص الحكم والسياسة وهي نتاج للتجربة التاريخية للمجتمع ككل من جهة وخبرات التنشئة التي تعرض لها الأفراد من جهة أخري" . (نيفين مسعد وآخرون ١٩٩٤ ، ص١٩١).

فالثقافة السياسية وفقاً لهذا المعني يمكن تصورها علي أنها تمثل البيئة أو المناخ السيكولوجي والقيمي الذي تعمل داخلة النظم السياسية ووفقا لألموند ***Almond*** هي " نسق متميز للتوجيه " يستوعب كل نسق سياسي . ***elch*** ١٩٨٧, ***P*** ٤٧٩ ,***S*** . ,) . وإزاء هذا الاختلاف بين الباحثين حول المفهوم ودلالته ، فمن الطبيعي أن نجد اختلافاً مماثلاً في محاولات قياسه . و قد يبدو من الملائم التعرف علي أنسب الطرق وأكثرها دقة في التعبير عن استيعاب الأفراد واستدماجهم للثقافة السياسية .

فعند مستوي من العمومية نجد محاولات نظرية تأملية كالدراسات الأنثروبولوجية المبكرة ، والتي يبدو أنها اهتمت بتقديم تصورات متحيزة كإضفاء بعض السمات والملامح الخاصة بثقافة شعب من الشعوب وهي بعيدة عن الموضوعية والدقة . ***(Welch.S.١٩٨٧.P.٤٨٤)*** .

وقد اعتمد البعض علي قياس اتجاهات الفرد نحو النظام السياسي وهذا المنحني وإن بدا أفضل من سابقه ، إلا أنه يواجهه مشكلة المفارقة بين الاتجاه اللفظي والسلوك الفعلي ، وبالتالي فلا يصلح للتعبير عن الثقافة الفعلية بصورة دقيقة . ويري (ويلش) أن الاتجاه المعاصر لقياس الثقافة السياسية يهتم بمعرفة مشاعر الأفراد وعلاقتهم بالنظام السياسي ، وكذلك توقعهم لدورهم المستقبلي في العملية السياسية .

DO NOT COPY

ويقترب هذا المعني من الوقوف علي مدي استيعاب الأفراد للثقافة السياسية وتمثلهم لها ، والذي يمكن استشفافه من خلال الوعي السياسي .

الوعي السياسي [*]:

نظراً لما يحيط بمفهوم الوعي السياسي من غموض ، نتيجة تأثره بتوجهات ومصالح أيديولوجية وتيارات فلسفية مما يشكل صعوبة في قياسه ، لذا فقد يبدو من المفيد الاسترشاد ببعض المحاولات الإجرائية التي من شأنها ترشيد خطي الباحث للتوصل إلى تعريف إجرائي للمفهوم ٠ فالوعي السياسي كما تناوله الباحثون يشير إلى مدي معرفة المواطن لحقوقه السياسية وواجباته ، كذلك قدرته علي التصور الكلي للواقع المحيط به وفهمه لما يجري حوله من أحداث ووقائع ٠ (*Jennings&Nieme,*١٩٧٤*,P* ٢٧١*:* ٢٧٢ ،جلال معوض ١٩٨٣ ،ص ٧٠) ، أو هو العملية التي يستطيع الإنسان من خلالها معرفة العالم وتغييره (باولو فرايري . بدون تاريخ ص ٩) . ويحاول البعض تحديد المفهوم من خلال ما يحويه من عناصر ، وتحليل ما لدي الأفراد من معارف سياسية عن البيئة المحلية والقومية والعالمية ، كنتيجة للثقافة السياسية التي يحصل عليها الأفراد من المؤسسات المختلفة (حنان كفافي ١٩٩٢ ص١٢٢ :١٢٣)٠ كما نجد اتجاهاً لدي البعض الأخر بتحليل المفهوم واستخدامه في ضوء بعض الفئات الاجتماعية ، فالوعي السياسي لدي الشباب مثلاً يعني إدراكهم للواقع السياسي والتاريخي لمجتمعهم ودورهم في العملية السياسية ، ومشاركتهم الفعلية في ذلك (محمد علي محمد (ب)١٩٨٠،ص ١٢٢: ١٢٤). كما يعرّف الوعي السياسي بأنه مدى معرفة الإنسان بواقعه السياسي وبظروف وواقع مجتمعه ومنطقته والعالم من حوله، ومدى إلمامه بالبدائل السياسية الممكنة والمتاحة كأطر حياة عامة وكحلول لما يعتري المجتمع من مشكلات سياسية، ومدى فهمه للمفاهيم والمصطلحات السياسية الرئيسة السائدة (الخميس، ٢٠٠٥). وهناك من يعرّف الوعي السياسي بأنه مجموعة من القيم والاتجاهات والمبادئ السياسية التي تتيح للفرد أن يشارك مشاركة فعّالة في أوضاع مجتمعه ومشكلاته، يحللها ويحكم عليها ويحدد موقفه منها

[*] يعترض بعض علماء الاجتماع على إلحاق صفة بكلمة الوعي كأن نقول الوعي السياسي و يفضلون استخدام الوعي بالسياسة . إلا أن المعنى الأول أكثر دقة و شمولاً .

ويدفعه إلى التحرّك من أجل تطويرها وتغييرها (اللقاني والجمل، ١٩٩٦). كما عرفّه بعض الباحثين بأنه رؤية الأحداث السياسية والتنظيمات والموقف منها ويعبر عن صوره بالمشاركة السياسية والمعرفة السياسية، وتكوين تصوّر عن المسائل السياسية، وتبني اتجاه سياسي محدد ودعمه مثل التصويت وعضوية التنظيمات السياسية، غير مقتصر على ذلك بمجرد عنصر الإدراك والمعرفة بل يتعدى ذلك إلى الفهم والتقييم وردود الفعل والتصرف من قبل الفاعلين (معوّض، ٢٠٠١). وتعكس التعريفات المختلفة للوعي السياسي معرفة المواطن لحقوقه السياسية وما يجري حوله من أحداث سياسية حيث يكون لدى المواطن القدرة الكافية على تصوّر الواقع المحيط به بصورة كلية لا بصورة جزئية، وبالتالي القدرة على القيام بالواجبات والمسؤوليات اتجاه مجتمعه ووطنه.

وتتسم ملامح ضعف الوعي السياسي في أزمة الهوية حيث يجهل أفراد المجتمع هوية نظامهم وطبيعته، فهل هو نظام قبلي أم ديني أم علماني، أم غير ذلك، الأمر الذي يجعل الصورة غير واضحة ومشوشة لدى الأفراد مما يجعلهم غير قادرين على تحديد حقوقهم وكيفية التعامل مع المواقف والاختلافات السياسية. وتعد أزمة الاندماج الاجتماعي ثاني هذه الملامح نتيجة التخلف الذي يعاني منه المجتمع لاسيما على الصعد الاجتماعية والاقتصادية وهي آثار متراكمة عبر عقود طويلة من القهر والحرمان جعلت الأفراد يلتفون حول تقسيماتهم الطائفية والعشائرية أو القومية، وبالتالي أصبح الوعي السياسي مغيبا عن المجتمع وحل محله التعصب والانحياز غير الواعي. أما أزمة المشاركة السياسية فتعد ثالث هذه الملامح، فنتيجة شعور أفراد المجتمع بأن الواقع السياسي الجديد لم يحل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية، وأن النخب السياسية منشغلة في الصراع على السلطة ومكاسبها، كل ذلك جعل الأفراد يعزفون عن المشاركة السياسية وبذلك تصبح العملية الديمقراطية غير ناجحة (أحمد، ٢٠٠٥).

نحو تعريف أجرائي للوعي السياسي :

يمكن تصور مفهوم الوعي السياسي علي أنه يتبلور من خلال معرفة مدي فهم وإدراك الأفراد (الطلاب) للواقع السياسي والاجتماعي والتاريخي لمجتمعهم وقدراتهم علي التصور الكلي للواقع المحيط بهم ، بصورة مترابطة العناصر بحيث تساعدهم علي بلورة اتجاهات سياسية وتدفعهم إلى المشاركة السياسية ٠ ويتطور ذلك الفهم والإدراك من خلال المعلومات والمعارف السياسية (المقصودة غير المقصودة) عن البيئة المحلية والقومية والعالمية ، ومن خلال المقررات الدراسية (التربية الوطنية – التربية الدينية – الدراسات الاجتماعية) التي تسهم جميعها في تزويد الطلاب بالمعلومات عن واقعهم وماضيهم بصورة تنمي لديهم مشاعر الانتماء والولاء للوطن ، والمحافظة علي التراث والتمسك بالقيم الإيجابية، كذلك ما يكتسبه الطلاب من معلومات – بصورة عرضية – من المعلمين ، والتجارب والخبرات التي يعايشونها في المحيط المدرسي مثل الانتخابات المدرسية ، يضاف الي ذلك ما تنقله وسائل الإعلام علي اختلافها من أخبار وبرامج عن النظام السياسي وسائر الأنظمة الأخرى ، والأحداث والتحليلات السياسية والمعلومات التي يكتسبها من الأسرة إما بالتلقين المباشر أومن خلال المواقف الحياتية المختلفة كل هذه المصادر تسهم في تشكيل الوعي السياسي بدرجات متفاوتة . ودراستنا الحالية تعتمد علي قياس الوعي السياسي للطلاب (في المرحلة الثانوية) كمؤشراً لفاعلية التنشئة السياسية التي تعرضوا لها عبر المؤسسات المختلفة المعنية بذلك .

بعض مصادر التنشئة السياسية :

تعد التنشئة السياسية مكوّناً أساسياً من مكونات الوعي السياسي، فهي تعد عملية غرضية وموجهة أيديولوجيا، تتوخى إحداث تغيرات ثقافية معينة، بالنسبة للفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، فنمط التنشئة الذي يخضع له الفرد يؤثر إلى حدٍّ كبير في استجابته لمختلف المثيرات السياسية، ومدى مشاركته في العملية السياسية، وجدية هذه المشاركة في مرحلة النضج، فهو إما أن يحفز إلى الاهتمام بقضايا المجتمع، وممارسة النشاط السياسي، وإما أن يعزف عن هذا الاهتمام تماما. كما تعد التنشئة السياسية ذات أهمية خاصة وسياسية بالنسبة لعملية التكامل السياسي، وتطور الوعي بالهوية القومية وتأكيد الولاء والانتماء للأمة والدولة القومية التي تحتلها (الزيات، ٢٠٠٢). كما تساعد

التنشئة السياسية على إمعان التمحيص والنقد لبعض الأفكار السياسية، وبذلك تكون هناك مراجعة للجو السياسي العام في المجتمع، وذلك عن طريق تعليم الناشئة القيم والاتجاهات السياسية من خلال الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع الأخرى فالتنشئة السياسية كإحدى مجالات التنشئة الاجتماعية ، هي عملية بمقتضاها يتم تأهيل الفرد لكي يصبح قادراً علي التفاعل الإيجابي ضمن النسق السياسي من خلال أداء دوره في المجتمع بصورة فعالة ، وهي عملية مستمرة طوال حياة الفرد ، ويقوم بها مؤسسات عديدة [الأسرة – المدرسة – جماعات الرفاق – وسائل الإعلام – دور العبادة – الأحزاب – ... الخ] .

وتمارس هذه المؤسسات تأثيرات متباينة علي الفرد تبعاً للمرحلة العمرية التي يمر بها ، ففي السنوات المبكرة تلعب الأسرة دوراً أساسياً في ذلك ن ومع اتساع البيئة الاجتماعية للطفل تبدأ جماعات الأصدقاء والمدرسة في ممارسة أدوارها المفترضة في هذا الشأن كذلك التعرض لوسائل الإعلام ، وقد تختلف(أو تتفق) تلك المؤسسات من حيث المبادئ التي تسعي لتوكيدها من قيم واتجاهات ٠٠٠٠ الخ وذلك طبقاً لظروف المجتمع السياسية والاقتصادية ٠٠٠الخ .

وتجدر الإشارة إلي أن هناك قدراً من التداخل بين تأثير كل منها في نفوس الأفراد ، بحيث لا يمكن عزل أثر إحداها عن الأخرى ، ولكن لاعتبارات نظرية نقوم بعرض كل منها بصورة مستقلة ، كما أننا سنركز علي بعضها وليس جميعها ومرد ذلك هو افتراضنا بأن الأسرة والمدرسة وجماعات الرفاق ، ووسائل الإعلام قد تكون أهم المؤسسات التي تسهم في التنشئة السياسية للأفراد الذين هم في مرحلة المراهقة من طلاب المدارس الثانوية . وفيما يلي نعرض لصورة موجزة لكل منها:

١- الأسرة : -

تعتبر الأسرة من أهم عناصر التنشئة الاجتماعية بصفة عامة والسياسة بصفة خاصة ، وتكتسب الأسرة هذه المكانة لكونها البيئة الاجتماعية الأولي التي تتولى الفرد منذ حياته المبكرة وتعمل علي إشباع حاجاته الأساسية ، كما

أن التفاعل بين الأسرة والفرد يكون أشد كثافة وأطول زمناً ، هذا إلي جانب العلاقة الانفعالية التي تربط الفرد بالأسرة .

وتعتبر فترة ما قبل المدرسة من أهم الفترات في تشكيل ملامح شخصية الطفل المستقبلية وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي ، والذي يؤثر بالطبع علي سلوكه السياسي مستقبلاً . وتعد هذه المرحلة من أهم الفترات النمائية لما يحدث فيها من تشكيل الأنا وبداية نمو الضمير أو الأنا الأعلى ، والذي يتشكل عبر أساليب التنشئة الوالدية والملاحظة والتقليد مما يسهم في استدماج القيم و المعايير والاتجاهات التي تتميز بها الثقافة الفرعية التي ينتمي إليها الآباء . (محمد عماد الدين إسماعيل ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦٩)

وعلي الرغم من تعدد علاقات الطفل ـ في مرحلة الطفولة المتأخرة ـ وارتباطه بالمؤسسات المختلفة كالمدرسة و جماعات الأصدقاء ، إلا أن علاقته مع والديه تؤثر تأثيراً كبيراً في تشكيل الجانب الأكبر من شخصيته ، وتسهم في توحده مع عدد من الأنماط الثقافية والقيم التي يتكون منها البناء الاجتماعي والسياسي.(٢٨ ;٢١ P . ١٩٦٩ ,Langton) .

ومن خلال فحصه للعديد من الدراسات التي عنيت بالتعرف علي مصادر السلوك السياسي ، انتهي (هربرت هايمان ٥٢ P , ١٩٥٩ ,Hyman, H, .) إلى أن الأسرة في كل الثقافات تحتل المرتبة الأولى في التنشئة السياسية نظراً لما لوحظ من تشابه بين الأباء والأبناء في المعرفة السياسية والاختيار الحزبي . كما تشير نتائج البحوث الحديثة الي وجود تشابه بين الأبناء والآباء في الانتماء الحزبي والالتزام بالقضايا والآراء السياسية (سعد جمعة ١٩٨٤ ،ص١٢٧، ٣١٦ .P١٩٨٧ ,Chapman,G)

وتتوقف القيم والاتجاهات التي يتعلمها الفرد داخل الأسرة علي عوامل عدة منها مكانة الوالدين (الأسرة) علي السلم الاجتماعي ،ومدي قدرتهما علي إشباع حاجاته المختلفة ، ونوع القيم التي يؤمن بها الوالدان وثقافتهما وميولهما السياسية.

كما تسهم الأسرة بصورة غير مباشرة في غرس قيم معينة في نفوس الأطفال وذلك من خلال أسلوب التنشئة المتبع فإذا كان الأب متسلطا في علاقته بأفراد الأسرة بات من المحتمل أن يؤدي ذلك لدي الأبناء إلي قيم الإكراه والسلبية والخنوع ، وفي المقابل إذا كان ديمقراطيا فإن قد يؤدي إلي غلبة قيم الحرية والمساواة ٠

ومن خلال الملاحظة البسيطة في المواقف الحياتية يكتسب الأطفال من الوالدين بعض الاتجاهات والقيم ، فطاعة الأب لتعليمات رجل المرور مثلاً في الطريق العام ، يعرف الابن نمطاً آخر من السلطة التي تستوجب الطاعة والاحترام .

وهكذا يميل الأبناء عادة إلى التأثر بالسلوك السياسي للآباء ، مما يجعلهم يميلون إلي تقليد ابائهم أو التوحد بهم في الانتماء الحزبي أو الآراء والقيم السياسية، لكن يتوقف ذلك علي مدي كفاءة الوالدين في إرساء دعائم الاحتكام إليهما ، كنماذج جذابة ومقنعة بالنسبة للابن ٠.

-المدرسة : تمثل المدرسة المؤسسة الرسمية الأولي التي توظفها النظم السياسية في بث وترويج قيم معينة تتفق وأهدافها لدي صغار النشء ، ففي معظم النظم السياسية – في الدول النامية بصفة خاصة –يناط بهذه المؤسسة غرس القيم والاتجاهات التي تراها ملائمة لأهدافها ؛ من خلال المقررات الدراسية التي تقدمها للنشء ؛ وتكتسب المدرسة أهمية خاصة في ذلك لاعتبارات عديدة منها ، طول الفترة التي يقضيها الفرد في التعليم ، وارتباط النظام المدرسي بالدولة وخضوعه للسلطة السياسية . فالتعليم هو الأداة الرئيسية لإحداث التغير الاجتماعي . (***Lantgton , K .,*** ١٩٦٩ . ***P .*** ١٧٧) ، ويتأثر التعليم بالفلسفة الاجتماعية السائدة في المجتمع وغالباً ما يعمل علي تدعيمها ، فالتعليم في يد الدولة الديكتاتورية أداة لإعداد مواطن يتفق في صفاته مع نظامها وأهدافها ، حيث ،الامتثال والخضوع. ويختلف الأمر عنه في الدولة الديمقراطية ،حيث يعتبر السبيل لخلق قيم الديمقراطية والحوار .

وهكذا فإن التعليم في كل الأحوال هو السبيل إلي التنشئة السياسية الملائمة للنظام السياسي . ويتم من خلال نقل المعارف السياسية بصورة مباشرة أو

بصورة غير مباشرة وتأكيد الشعور بالوطنية والولاء وبث القيم والاتجاهات الإيجابية للأفراد نحو بلدهم ونظامهم السياسي . لكن كيف تقوم المدرسة بهذا الدور ؟ يمكن تصور دور المدرسة في هذا الشأن عبر طريقتين هما :

١-المحتوي الصريح للمقررات ، الذي يؤكد بصورة مباشرة علي تنمية قيم واتجاهات معينة ، مثل مقررات التربية الوطنية، والتربية الدينية، والدراسات الاجتماعية .

٢ - المحتوي غير المباشر أو ما يسميه رجال التربية (المنهج الخفي.***Hidden Curriculum***) والذي يتمثل في طبيعة النظام المدرسي وما يحويه من أنشطة وفعاليات تصاحب المقررات ،والتي قد تساند أو تعارض ما تؤكده المقررات الصريحة بالإضافة إلي دور المدرس أيضاً وقيمه واتجاهاته .

وبدءاً بالمحتوي الصريح للمقررات الدراسية ، نجد أن معظم النظم السياسية قد درجت علي تخصيص مقررات معينة لإكساب التلاميذ المعلومات والمعارف التي تعينهم علي فهم بناء المجتمع ونظامه السياسي ،ويشمل هذا المعرفة بحقوق وواجبات المواطنة ، وتوزيع السلطة في المجتمع ، وتأكيد القيم الوطنية التي من شأنها خلق الانتماء والولاء للوطن ، فالتربية الوطنية في مصر – علي سبيل المثال – كمقرر دراسي يناط به تنمية مجموعه من القيم الإيجابية والتي من المفترض أن تنمي لدي الأفراد الانتماء والولاء للوطن (وزارة التربية والتعليم ٩٥ / ١٩٩٦ ص ٣٢٢) .ويسهم في ذلك أيضاً بعض المقررات الأخرى كالتربية الدينية والدراسات الاجتماعية والتاريخ .

والمستقرئ لأوراق العمل والتقارير الرسمية والمبادئ الأساسية التي تقوم عليها السياسة التعليمية في مصر من السبعينيات وحتى الآن يجد أنها قادرة علي الوفاء بتحقيق الأهداف القومية الكبرى في تشكيل وبناء شخصية المواطن الصالح القادر علي تحقيق تنمية ذاته ومجتمعه . (فكري شحا ته ١٩٨٧ ، ص١١٣) وفي المقابل نجد المفارقة المثيرة للدهشة ، حيث تشير نتائج الدراسات الميدانية التي أجريت في مصر في هذا السياق إلي

تدني دور المدرسة عموما في إكساب التلاميذ القيم والمهارات المتضمنة في تلك المقررات ، فضلاً عن بروز اتجاهات وقيم سلبية لدي التلاميذ .

فالقضية ليست في روعة المقررات وحبكتها الفنية ، أو مدي تحميل تلك المقررات أفكار معينة ، ولكن الأكثر أهمية هو تفاعلها مع معطيات الواقع ، فألا هداف والقيم التي تشيع في المقررات الدراسية بدون الجو الملائم من مناخ اجتماعي ومعلم يؤمن بتلك القيم تصبح غير ذات قيمة ، ولا تؤدي إلي النتائج المرجوة منها .

ومن الجدير بالذكر أن المدرسة تبلغ أقصي درجات الفاعلية في التنشئة السياسية إذا كان ثمة تطابق بين ما تنشره المقررات الدراسية وما يعايشه الفرد من خبرات ؛ فحينما تؤكد المقررات مثلاً علي قيم المساواة والإخاء والترابط وتنطوي معاملة المدرسين للطلاب علي عكس ذلك ، فإن هذا بلا شك يؤدي للتناقض وليس للتطابق . فالمناخ المدرسي له أهمية كبيرة إلي جانب المقرر الدراسي ففي كثير من البلاد المتقدمة نجد أن التربية تنمي لدي النشء منذ نعومة أظافرهم الروح العلمية ، ويساعد علي ذلك الألعاب والكتب والأغاني والقصص التي تعزز الدافع للإنجاز والترقي الذاتي .

وإذا انتقلنا إلي المحتوي غير المباشر والمتمثل في الجو المدرسي ودوره في التنشئة السياسية ،فنجد الأنشطة المختلفة التي يتم تنفيذها وتسهم في إكساب الطلاب المعارف السياسية ،فالاتحادات الطلابية تعد من أهم الأنشطة المدرسية التي قد تسهم في توعية الطلاب بواجباتهم وحقوقهم نظراً لما تتيحه للطالب من معرفة وممارسة لحرية التعبير وإبداء الرأي وتحمل المسئولية ، وممارسة الديمقراطية .كما تسهم المعسكرات التي تستهدف تنمية وخدمة البيئة المدرسية والمحلية إلي ربط الطلاب ببيئتهم والحفاظ عليها واحترام الملكية العامة.

وبصورة عامة فإن النظام التعليمي الذي يقوم علي مشاركة الطلاب وإشراكهم في العملية التربوية يزيد من الترابط بين التلاميذ وينمي لديهم روح المشاركة والديمقراطية ، وعلي النقيض نجد النظام التعليمي الذي يعتبر التلاميذ طرفاً

متلقيا فقط يقتصر دورهم علي تلقي المعلومات قد يؤدي ذلك لديهم إلي الميل إلي السلبية والانزواء واللامبالاة (عبد المنعم المشاط ١٩٩٢ ،ص ١٠٨: ١٠٩) وقد ينطبق علي نظام التعليم في مصر الوصف الأخير، حيث يعتمد علي الحفظ والترديد ويعتبر الامتحانات هي المؤشر الوحيد للتقييم ، مما يعزز النزعات الفردية ويؤدي إلي تفشي السلبية والغش .(محمود أحمد موسى ١٩٨٧ ، ص ١٣٧: ١٦٠)

وللمدرس أهمية كبيرة في عملية التنشئة ؛ حيث أن المقررات (الموجهة) لا تنتقل إلي التلاميذ بصورة متعالية ، وإنما تتحول إلي واقع من خلال المدرس واتجاهاته وقيمه وسلوكه ، والتي قد تكون مساندة أو مقوضة لأهداف تلك المقررات . وتشير نتائج إحدى الدراسات التي تمت في مصر بهدف التعرف علي اتجاهات المعلمين نحو القضايا السياسية والأفكار التي يتبناها المعلم ، أن النسق الفكري الذي يتبناه المعلم يتميز بالتسلط ، فضلاً عن السلبية وعدم القدرة علي التعبير عن رأيه ، وهو ما أرجعه إلي مناخ إعداد المعلم الذي يتسم بالمحافظة . (كمال نجيب ١٩٨٨ ، ص ٥٥ : ١١٧) . وتبصرا بأهمية دور المعلم باعتباره القدوة ونموذج السلوك القيمي للتلاميذ ، نجد البعض يشددون علي ضرورة إعداده بصورة تتسق وخطورة دوره ، كما يجب العناية بظروفه الاقتصادية والاجتماعية . (علي الجمل ، ١٩٩٦ ، ص ٤٥ : ٤٦)

وبصفة عامة فإن المدرسة تعد من المصادر الأساسية في التنشئة السياسية ، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وإن اختلفت أهمية هذا الدور طبقاً لمدي فاعلية عناصرها (المقررات- الأنشطة – المعلم) في ذلك ، أو بعض المتغيرات كالمستوي التعليمي للوالدين ، فقد كشفت إحدى الدراسات عن أهمية المدرسة في هذا المجال (التنشئة السياسية) بالنسبة للطلاب الذين ينتمون إلي أسر ذات مستوي تعليمي منخفض. (عزيزة محمد السيد ١٩٩٢ ، ص ٥٤)

٣ - جماعات الرفاق :

تضم هذه الجماعات الأفراد المتقاربين في السن أو الوظيفة أو، المستوي الاقتصادي ...الخ ، وتبدأ منذ الطفولة إلي الكهولة ، وتتكون من زملاء الفصل أو الجامعة أو العمل ...الخ ، وأهم ما يميز علاقة الفرد بنظرائه التكافؤ والشعور بالندية ، ولهذا تتزايد درجة الترابط بينهم ، كذلك التأثير المتبادل ، ولا شك أن لتلك الجماعات دوراً أساسيا في نقل وتعزيز القيم التي يكتسبها أعضاء تلك الجماعات .

ولقد برزت أهمية جماعات الرفاق ودورها في عملية التنشئة عموماً ،

مع التحولات الاجتماعية التي حدثت في العقود الأخيرة والتي صاحبها ضعف في الروابط الاجتماعية بين الأبناء والآباء . (إسماعيل عبد الكافي ١٩٨٨ ، ص٩٩) .

وفي مجال التنشئة السياسية تمارس جماعات الرفاق تأثيراً كبيرا علي قيم واتجاهات أعضائها ، ويتم ذلك من خلال طريقتين هما :- (كمال المنوفي ١٩٧٨ ، ص ١٩ ، ٢٠)

١ - نقل وتعزيز الثقافة السياسية ، إذ عن طريق تلك الجامعات يمكن نقل الثقافات الفرعية سواء كانت طبقية أو مهنية . فالطفل الذي ينشأ في أسرة تنتمي إلي الطبقة العمالية يتعلم أسلوب حياة هذه الطبقة ، وإذا أنضم في المدرسة لجماعة رفاق تضم زملاء من نفس الطبقة فإن ذلك يؤدي إلي تأكيد وتعميق الاتجاهات التي سبق وأن اكتسبها في الأسرة .

٢- غرس قيم ومفاهيم جديدة ، فقد يتعلم الفرد عن طريق جماعة الرفاق اتجاهات ونماذج سلوكية جديدة ، حيث تتيح تلك الجماعة لأعضائها حرية التعبير عن أنفسهم معايشة أدوار جديدة بعيدة عن التحكم الأسري .

ويجب ألا نبالغ في دور جماعة الرفاق ، حيث يتوقف تأثيرها في الفرد علي غياب التنشئة الو الدية ، لكن بقدر نجاح الأسرة (الوالدين) في إرساء دعائم راسخة في شخصية الابن بقدر تقلص تأثير باقي منافذ التنشئة الأخرى في التأثير علي الابن ، ، فكلما كانت علاقة الفرد بالأسرة تتسم بالقبول

والتشجيع والدفء يقل احتمال تأثير الرفاق مثلاً وبالعكس ، خاصة في المراحل المبكرة .

وفي فترة المراهقة فإن الأمر لا يختلف كثيراً ، فمن خلال استعراضها للعديد من البحوث الحديثة وجدت " كارين أوينز ١٩٩٣ ,. Owens, K " أن امتثال المراهقين للتوجيه الوالدي يعتمد بصورة كبيرة علي نوع علاقاتهم بوالديهم ، فحينما يدرك المراهق الوالدين علي أنهما ذوو كفاءة ، ونموذج للدفء ، فإنهم لا يختلفون عنهم كثيراً في أفكارهم و في توجهاتهم ، فضلاً عن ميلهم لاختيار الرفاق المشابهين لنظامهم القيمي أكثر من المتعارضين معهم . (Owens , K ., ١٩٩٣ , P . ٥٤٢)

٤- وسائل الإعلام :

تقوم وسائل الإعلام (الصحف – الراديو – التليفزيون) بدور لا يقل أهمية عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى في عملية التنشئة ، ولئن كان هذا الدور يمثل سلاحاً ذا حدين ، ففي الوقت الذي يتم فيه عن طريقها نقل القيم والمعايير الاجتماعية المتفق عليها بين أفراد المجتمع فأنها في الوقت نفسه تقوم بصورة غير مباشرة بتغيير هذه القيم والمعايير وإحلال أخري جديدة (سلبية) ، مما يؤسر سلبياً علي شخصية الأفراد. وتظهر خطورة وسائل الإعلام في المجتمعات المختلفة بصورة خاصة في فترات التغيير الاجتماعي الذي يمر به أي مجتمع ، مثل التغيرات التي شهدها المجتمع المصري في المجالات المختلفة علي مدي الخمسين سنه الأخيرة . وفي المجتمعات النامية (ومنها مصر) نجد أن وسائل الإعلام تخضع خضوعاً تاما لسلطة الدولة ، ومن ثم يتم تسخيرها في نشر الاتجاهات والقيم الملائمة مع التوجه السياسي للسلطة ؛ فمن خلال الاستعانة بقادة الرأي أو المختصين عن طريق النشر في الصحف أو عبر البرامج الإذاعية أو التلفزيونية يتم الترويج والدفاع عن تلك القيم .والاتجاهات بصورة مباشرة ، هذا فضلاً عن الأعمال والمواد الأخرى (المسلسلات ، الأفلام) التي تعني بذلك .

وتكتسب وسائل الإعلام أهمية خاصة في نشر القيم السياسية نظراً لتعرض كافة أفراد المجتمع تقريباً لما تبثه من برامج في جميع أنحاء الدولة ، وقد يبدو

ظاهرياً أن الفرد لدية القدرة علي الاختيار في التعرض لوسائل الإعلام بينما هو في الواقع يخضع بصورة منظمة لبرامج مخططة تستهدف نشر أفكار محددة وإرسائها بكافة الوسائل .

وإدراكاً لأهمية وسائل الإعلام وخطورة تأثيرها علي المواطن المصري فقد نشطت الدراسات التي اهتمت بمعالجة هذا الموضوع وتبين أبعاده بصورة موضوعية منذ بداية الثمانينيات . ففي معرض تقييمها لدور البرامج الإذاعية في تشكيل الثقافة السياسية توصلت (نادية سالم) إلي غياب دور تلك البرامج في تنمية الثقافة السياسية للمواطنين بالإضافة إلى نظرة الشك التي يبدونها إزاء تلك البرامج ، نظراً لأنها لا تهتم بقضاياهم ومشكلاتهم الفعلية (نادية سالم ١٩٨٠ ، ص٩٨) ويصف البعض الثقافة السياسية في مصر بأنها تتم بصورة فوقية ـ فتأتي من أعلي إلي ادني ـ من السلطة إلي المواطنين دون اعتبار لمشكلاتهم وآرائهم مما يسهم في عدم تقبلها واستيعابها بصورة كافية وبالتالي انخفاض الوعي السياسي لديهم. (أحمد زايد ، ١٩٩٠ ص ٨٠) وليس التليفزيون أفضل حالاً من الإذاعة ، ففي دراسة تحليلية عن دور نشرات الأخبار في التنشئة السياسية ، أشارت النتائج إلى أن تلك النشرات تركز علي المعلومات العالمية الخارجية أكثر من اهتمامها بتلك المحلية ، كما تبين انخفاض مستوي المعرفة السياسية كنتيجة لذلك . (محمود حسن إسماعيل ١٩٩١ ص٣٣٠ : ٣٣٨)

وبالنسبة للأعمال الدرامية التي تقدمها الإذاعة والتليفزيون كالمسلسلات فقد حاول البعض التعرف علي القيم المتضمنة بها ، وتبين أن القيم السلبية تتفوق علي تلك الإيجابية في مضمون تلك المسلسلات(عدلي رضا ١٩٨٣) مما قد يسهم في تبدل قيم المجتمع .

وبصورة إمبريقية اهتم البعض الأخر بالوقوف علي القيم التي أدركها المشاهدون في بعض المسلسلات التليفزيونية والإذاعية العربية ، كشفت النتائج عن تدني القيم الإيجابية وغلبة تلك السلبية ، فمثلاً عدم الأمانة ٩٧% ، التفكك الأسري ٩٢ % ، والمادية ٩٠ % ، عدم الاحترام ٧٠ % ،في حين كانت قيم الترابط الأسري ٥٧ % ، الانتماء ٥٥ % ، (سعدية مرزوق ١٩٩٢

) مما يشير إلي أن البرامج الإذاعية والتليفزيونية لا تساعد علي تنمية القيم الإيجابية ، وتسهم في نشر القيم السلبية .

كما تكشف نتائج الدراسات التي اهتمت بفحص مضمون الإصدارات الموجهة للأطفال (الرسمية وغير الرسمية)والتي تستهدف تنشئتهم سياسياً من خلال ما تبثه وتنشره من قيم واتجاهات إيجابية، إلى تدني دورهما في ذلك ، وبدءاً بالإصدارات الرسمية المتمثلة في المجلات والكتب التي تصدرها هيئة الاستعلامات والموجهة للأطفال، لوحظ عدم وفائها بنقل القيم السياسية المرغوبة بكفاءة (إسماعيل عبد الكافي ١٩٨٨ ص ٢٨١) ونفس الشيء وجد في كتب الأدب غير الرسمية حيث أن نسبة القيم السياسية التي تحويها كان ضعيفاً (أسماء غريب بيومي١٩٩١،ص١٢١) مما يشير إلي غياب التوجه الواضح نحو الأهداف والقيم الإيجابية لدي قادة الفكر والرأي والذين من المفترض أنهم علي وعي بذلك وبالتالي فمن الطبيعي أن يترتب علي ذلك انخفاض أو تقلص دور مؤسسات الإعلام في التنشئة السياسية .

علي الرغم من أن عملية التنشئة في كافة المجتمعات هي عملية مقصودة ، إلا أن الأدلة تشير إلي أنه لا يوجد –في مصر – أي تصور مستقبلي علي المستوي المجتمعي – التنفيذي - لما نريده بعد عشر سنوات من أطفالنا لأنه لا يوجد تصور واضح تلتزم به مؤسسات التنشئة وتتفق عليه في إعداد الأجيال القادمة .

ثانياً – تحديد مفهوم القيم السياسية .

بين مفهوم القيمة وبعض المفاهيم القريبة منه(الاهتمام ، الاتجاه ، المعتقد ،الحاجة ،الدافع)

- **تحديد مفهوم القيمة**
- **القيم السياسية**
- **اكتساب القيم :**

ا- منظور التحليل النفسي .

DO NOT COPY

ب- منظور التعلم الاجتماعي .

جـ - المنظور الارتقائي .

- بعض محددات اكتساب القيم السياسية :

ا- مستوي الإلزام بالقيمة .

ب- مستوي تبني المنشئين للقيمة .

– تحديد مفهوم القيم السياسية

تعد القيم من المفاهيم الجوهرية في كافة ميادين الحياة [الاقتصادية – الاجتماعية – السياسية] لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها ، فهي ضرورة اجتماعيه لأنها معايير وأهداف لابد وأن نجدها في كل مجتمع منظم – سواء كان متقدما أو متخلفاً – ويضيف البعض بأن الحياة الاجتماعية تستحيل بدون القيم ، فقيام النظام الاجتماعي بوظائفه لا يمكن استمراره بحيث يحقق أهداف الجماعة ، ولا يمكن آن يحقق ما يريدون ، وما يحتاجون إلية من الآخرين علي أسس شخصية وثقافية بغير القيم ، ولا يمكن بغيرها أن يشعروا من قرارة أنفسهم بسبب يتطلب أو يقتضي الهدف الموحد أو المنظم .

(جابر عبد الحميد ، سليمان الخضري ١٩٨٨ ص ٢٨٨)

وتؤكد رولو ماي ***R. May*** ، أنه بدون نظام ملائم من القيم ، يميل الأفراد إلي أن يكون توجيههم خارجياً ، فيعتمد الأفراد ذوو القيم غير الملائمة علي أشياء خارج أنفسهم لتوضيح أهميتهم مثل الأعراف الاجتماعية ، آراء الرفاق آراء المدرسين ... الخ ، أما الأفراد الذين لديهم قيم قوية ، فيعرفون أهمية أنفسهم بصورة منفصلة عن الأحداث الخارجية ، وكذلك فهم قادرون علي المرور بخبرة هذه الأشياء من منظور مختلف كثيراً ، فمثلاً استحسان الرفاق للمرء له قيمة ، ولكن هذا الاستحسان لا يغني عن إحساس المرء بالقيمة ، كما أن القيم هي التي تحدد كيف يتصرف الفرد . (***Hergenhahn , P .R .*** ***(In : ١٩٨٤ , P : ٣٤٩)***

١-مفهوم القيم والمفاهيم القريبة منه :

يرجع اهتمام علماء النفس وعنايتهم بدراسة القيم إلي الثلاثينات من هذا القرن وحتى الآن . (عبد اللطيف خليفة ، ١٩٩٢ ص ٥) ، وعلي الرغم من ذلك فأن مفهوم القيم لا زال يكتنفه الغموض ، والخلط بينه وبين ومفاهيم أخري ،مما جعل (توفلر ١٩٦٩ *Toffler ,*) يصف القيم بـ ((الطفل غير السعيد الذي يعاني بؤس وشقاء عدم علمنا به)) . (محيي الدين أحمد حسين ١٩٨١،ص٤٨)

وفي تقييمه للدراسات التي اهتمت بالقيم يذكر روكيتش *Rokeach*، - منذ حوالي ربع قرن – أن العلماء الاجتماعين ذوي التوجه الإمبريقي أولوا – خلال الخمسين عاما الماضية –اهتماما كبيراً بنظرية وقياس الاتجاهات أكثر من القيم ، وطبقاً لروكيش ، فإن هذا الاهتمام بدراسة الاتجاهات لا ينبع من قناعة الباحثين بان اتجاهات الفرد تحدد سلوكه أكثر من القيم ، بل أن ما حدث هو نمو سريع لوسائل قياس الاتجاهات ، وصاحب ذلك غموض ما في فهم الفرق المفاهيمي بين القيم والاتجاهات ، والعلاقة بينهما . وهذا التأكيد المبالغ فيه علي الاتجاهات قد روج للنظرة الشائعة التي حازت علي قبول واسع بأن القيم صعبة التعريف والقياس ، رغم أنها تلعب دوراً اكثر مركزية وأكثر دينامية من الاتجاهات داخل النظام المعرفي – الوجداني للفرد . (*Rokeach , M .* ١٩٧٣ *, P* ٢١)

ومن المرجح أن نقص الاهتمام بدراسة القيم في مقابل الاتجاهات قد انعكس علي تحديد مفهوم القيمة ، ودراسته – في علم النفس الاجتماعي –فنجد من يتناول القيمة من منظور الاهتمام ، أو كمرادف للاتجاه أو الحاجة أو الدافع ، مما يستوجب إلقاء الضوء– ولو بصورة موجزة -علي تلك المفاهيم وصولاً إلي بلورة مفهوم القيمة .

القيمة والاهتمام:

ولعل أولي المحاولات التي ربطت بين هذين المفهومين تلك التي قام بها (آلبورت وفيرنون) في وضعهما لمقياسهما الشهير للقيم والذي يعتمد أكثر علي

الاهتمام وليس القيم ، واعتمدا علي بناء المقياس وفقاً لنظرية شبرانجر ***Spranger*** لأنماط الناس ، والتي تشير إلي أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط ، واستناداً إلي غلبة أو سيادة أي منها ، يمكن تصنيف الفرد ، وبالتالي فالمقياس يتكون من القيم التالية : القيمة النظرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والجمالية ، والدينية . (فوزية دياب ١٩٦٦ ص ٧٤ ، محي الدين أحمد حسين١٩٨١،ص ٣٠)

وطبقاً لروكيش فإن هذا المقياس علي الرغم من الشهرة والانتشار الذين حظي بهما كمقياس للقيم . إلا أنه لا يصلح إلا أن يكون مقياساً للاتجاهات أو الاهتمامات المهنية بصورة خاصة ، نظراً لأنه ضيق نطاق القيم وحصرها في دائرة الاهتمامات فقط . (***Rokeach , M . ١٩٧٣ . P ٢٢***) فالاهتمام يعتبر أحد المظاهر للقيمة ، وان كان يساعد في توجيه الفعل وتحقيق الذات ، لكنه - أي الاهتمام – أضيق من القيمة لأنه لأنها لا يتضمن الحالات المثالية أو الغايات . وتتميز القيم عن الاهتمامات في أن الأخيرة لا تستوجب الإلزام والوجوب (عبد اللطيف خليفة ١٩٩٢، ص ٤٦) . كما أن الاهتمامات قد لا تتفق مع المعايير التي تحدد ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون . (محمد عماد الدين إسماعيل ، نجيب إسكندر ، رشدي فام منصور ١٩٧٤ ، ص ٢٣٢)

القيمة والاتجاه والمعتقد :

تختلف القيم عن الاتجاهات في العديد من النواحي ، فيري كل من (براثويت ، ولو ***Braithwaite & LOW***) أن الفرق بين الاعتقادات والاتجاهات من جهة ، والقيم من جهة أخري ، هو أن مفهوم القيم ينحصر في تلك الفئة الخاصة من المعتقدات المستديمة المتعلقة بأشكال التصرف والحالات الغائية من الوجود التي تتجاوز الموضوعات والمواقف النوعية والتي تكون مفضلة من الناحية الشخصية والاجتماعية . (
Braithwaite & Low , ١٩٨٥ , Pp ٢٥٠ : ٢٥١)

فالاتجاه له موضوع محدد أما القيم فليس لها موضوع محدد، لأنها أوسع من حيث التركيز . وغالباً ما نشتق اتجاهاتنا نحو موضوعات أو عمليات أو أشخاص من خلال قيمنا .

DO NOT COPY

ويري (روكيش) أن الاتجاه هو تنظيم يضم العديد من المعتقدات التي تتركز حول موضوع محدد [فيزيقياً كان أم اجتماعياً] يهيئ المرء للاستجابة بطريقة معينة . وبعض هذه المعتقدات عن الموضوع أو الموقف تتعلق بمسألة الوقائع ***Facts*** ، والأخرى تتعلق بالتقييم ***Evaluation*** .. والاتجاه –علي هذا النحو – هو مجموعة من المعتقدات التي تتكون من تأكيدات ***Assertions*** مرتبطة فيما بينها ، تؤثر في أشياء معينة خاصة بموضوع أو موقف محدد من حيث كونها حقيقية أو زائفة ، وعلي أشياء أخري بهذا الموضوع أو الموقف من حيث كونها مرغوبة أو غير مرغوبة أما القيم فتلزم المرء بالعمل وفق صيغ ***Modes*** معينة من السلوك . (***Rokeach , M , ١٩٦٨ ،P ١٦***)

القيمة والحاجة :

وبالنسبة للحاجات ، فالقيم – علي خلاف الحاجات –ليست فطرية بل مكتسبة من خلال الخبرة الانفعالية (بصورة مفاهيمية في بعض الحالات ، وبصورة سلبية " التناضح ***Osmosis*** " ، والامتثال في بعضها الآخر .) والقيم هي الرابطة بين الحاجة والفعل ، فهي تفيد في توزيع الانتباه والجهد علي مختلف الحاجات . (***Harre , R & Lamb , R . ١٩٨٣ , P ٦٥١***)فالقيم عبارة عن تمثيلات معرفية ***Cognitive Representations*** لحاجات الفرد، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات المعرفية ، ولذلك فالقيم توجد لدي الإنسان فقط (***Rokeach, M. ١٩٧٦.P٣٥٦***)

القيمة والدافع :

تختلف القيم عن الدوافع في أن الأولي ليست مجرد ضغوط لتوجيه السلوك ، ولكنها بالإضافة لذلك تشتمل علي التصور القائم خلف هذا السلوك بإعطائه المعني والتبرير الملائم . (عبد اللطيف خليفة ، ١٩٩٢ ، ص ٥٨) كما يمكن التمييز بين القيمة والدافع علي أساس الهدف ، فالهدف في القيمة من النوع المطلق ويتسم بالوجوب ، فيقول الشخص :يجب أن أعمل هذا الشيء ، أما في الدوافع فيقول : أريد أن أعمل هذا الشيء .

واستناداً إلي تلك الإشارة الموجزة لما يمكن أن يقوم من اختلاف بين مفهوم القيمة وغيره من المفاهيم المتداخلة معه في المعني ، والتي قد تكون مسئولة عن إضفاء مزيد من الغموض حول المفهوم ، وكذلك إجراءات قياسه يمكننا تحديد وضبط تعريف القيمة .

والتعريف الملائم للقيم كما يتصور البعض يجب أن يقوم علي أساس نظري وتجريبي في آن واحد ، حيث أن النظر إلى مفهوم القيم علي أنه بناء فرض ***Hypothetical Construct*** يمكن الاستدلال علية من السلوك اللفظي بالإضافة إلي أن هناك متغيرات أخري يمكن أن تؤثر في هذا السلوك فتجعله متسقا أو غير متسق مع القيمة التي يتبناها الفرد . (عبد اللطيف خليفة ١٩٩٢ ، ص ٥٥)

١- تحديد مفهوم القيمة :

يضبط (وولمان) المعاني المختلفة لمفهوم القيمة – في سائر المجالات –وما يفيدنا في هذا السياق هوأن القيمة تشير إلي كل ما هو جدير بالاحترام والتقدير من الفرد أو الجماعة في البيئة الاجتماعية ، ويختلف هذا التقدير باختلاف موضوع القيمة . كما يشير إلي آن القيمة مفهوم مجرد يشير إلي أهداف وغايات محددة يسعى الفرد أو الجماعة لتحقيقها في مجالات الحياة المختلفة .(***Wolman, B B , ١٩٨٩ , P,*** ٣٥٩)

وتري (كارين أوينز) أن القيم هي أفكار معيارية توجه السلوك وتزوده بمعايير خارجية وداخلية علي نحو ما يكافح الناس من أجله . وتزود السلوك بالأساس الأخلاقي .(***Owens , K , ١٩٩٣ . P*** ٥٤٠)

ويضيف (ساجيف واشوارتز) أن القيم الإنسانية هي أهداف مرغوبة تنابين في أهميتها وتفيد كمبادئ توجيهيه في حياة الإنسان . (***Sagiv & Schwartz , ١٩٩٥ . P*** ٤٣٨) ويعرفها عبد اللطيف خليفة ، بأنها عبارة عن مجموعة الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء ، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين

ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف . (عبد اللطيف خليفة ١٩٩٢ ص ٥٩ : ٦٠)

ويري (محي الدين أحمد حسين) أن القيم هي " مفاهيم تختص بغايات يسعي إليها الفرد كغايات جديرة بالرغبة ، سواء كانت هذه الغايات تطلب لذاتها أم لغاية أبعد منها ، وتظهر من خلال التفاعل بين الفرد بمحدداته الخاصة وبين نوع معين من أنواع الخبرة ، وتتكشف دلالة هذه القيم فيما تملية علي محتضنيها – من اختيار توجه معين في الحياة ، يراه جديراً بتوظيف إمكاناته المعرفية والوجدانية والسلوكية . (محيي الدين أحمد حسين ١٩٨١ ، ص ٥١) .

من خلال التعريفات السابقة للقيم يمكننا استخلاص أهم الخصائص التي وردت فيها علي النحو التالي :-

١- أنها تمثل أهدافا وغايات مرغوبة يسعي الفرد للوصول إليها والعمل وفقا لها ٠

٢- أنها تمثل بناءً معرفياً ينظم أفكار الفرد ومعتقداته تجاه الموضوعات المختلفة وهي مرتبطة بالسلوك أي تحدد احتمالية أن يسلك الفرد في موقف ما بشكل معين ٠

٣- أنها تمثل بناءً اجتماعيا فهي جزء من حضارة المجتمع وثقافته فلكل مجتمع مجموعة مميزة من القيم تحدد السلوك الذي يطلبه من أفراده ويعمل علي إمداده بها عبر المنشئين المختلفين ٠

٤-القيم السياسية :

طبقاً لـ " ألبورت ، وفيرنون " فإن القيم السياسية تشير إلي اهتمام الفرد وميله إلي السيطرة والتحكم في الأشياء. وهذا التعريف كما ناقشنا – في ثنايا مفهوم القيم – يبدو غير ملائم لتعريف القيمة لانه يرتكز علي الاهتمام فقط ، وبالتالي لا يترجم القيمة ، كما يبدو قاصراً علي تعريف القيم السياسية موضع التناول الحالي ، حيث نقصد بالقيم السياسية تلك القيم التي يحاول النظام السياسي – في أي مجتمع – بثها وتأكيدها في نفوس أعضاء المجتمع

DO NOT COPY

لإبراز هوية المجتمع وتحقيق الاستقرار بين مختلف فئاته ، مستعيناً في ذلك بكل المؤسسات المعينة لتحقيق هذا الهدف ، ويتفق ذلك مع تعريف البعض (بوفلجة غياث ١٩٩٢ ص ٢١٥) حيث يعرفها بأنها القيم التي يهدف الساسة إلي تشجيعها وترسيخها في المجتمع . كما يعرفها (حامد ربيع ١٩٧٤ ، ص١٤) بأنها إطار فكري مثالي يغلف الأهداف المباشرة للحركة السياسية ، وهي تعبير عن خصائص مجتمعيه وحضارية وتتميز بالخصائص الآتية :

١- أنها معرفة أخلاقية تعبر عن فكرة مثالية ، حيث تحدد الثقافة السياسية لهذه القيم أهدافاً مثالية .

٢-أنها معرفة فلسفية ، لأنها تصور لمواصفات حضارية ، لما هو مقبول وما هو غير مقبول .

٣-أنها معرفة مصبوغة بصبغة العمومية ، فهي عامة تشمل كل فئات المجتمع . ويمكن تعريف القيم السياسية بأنها تمثل بناءً معرفياً أخلاقيا ينظم أفكار الفرد ومعتقداته وسلوكه تجاه الآخرين الذين يتفاعل معهم ، وهي اجتماعية حيث ترتبط بثقافة المجتمع وتراثه الديني وتستمد منه مقوماتها وهي تمثل أهدافاً مثالية حيث يسعي الأفراد للعمل وفقاً لها ، ويسعي النظام السياسي إلي العمل علي نشرها لتحقيق الاستقرار بين أعضاء المجتمع ، ويهتم البحث الحالي بدراسة القيم الآتية:

١- تحمل المسئولية .

٢-الإيثار .

٣- الديمقراطية .

٤-احترام الملكية العامة .

٥- العمل الجماعي .

DO NOT COPY

ويتجسد التعريف الإجرائي للقيم السياسية ، في إطار تعريفنا لتلك القيم - في الفصل الرابع -،ويأتي اختيارنا لتلك القيم بصورة خاصة نظراً لكونها تمثل ضرورة ومطلباً أساسياً لاستقرار أي مجتمع من المجتمعات وتماسكه ، وبالتالي فقد يكون من الضروري أن تعني بها الأنظمة السياسية وتعمل علي ترويجها لأهميتها للفرد والجماعة ، فتحمل المسئولية مثلاً تمثل ضرورة للفرد لكي يحقق التوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه ، كما أن الإيثار فضلاً عن كونه أحد علامات الصحة النفسية فهو ضرورة لازدهار الجماعات وقدرتها علي تحقيق أهدافها . (فرج عبد القادر طه ١٩٩٧ ، ص ٥٤، ٥٧)، كما أن الديمقراطية واحترام الملكية العامة والعمل الجماعي تعد قيم ضرورية لتحقيق الاستقرار والتقدم للمجتمعات ٠ وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه القيم الإيجابية تلقي الحث والتأييد من خلال التراث الديني – خاصة الإسلامي – مما يعزز من انتشارها بين أعضاء المجتمع ، هذا فضلاً عن تأكيد مؤسسات التنشئة المختلفة عليها فالمقررات المدرسية ، ووسائل الأعلام ٠٠٠الخ ، تعمل كل منها علي توجيه الأفراد وإلزامهم بها ٠

اكتساب القيم

من الثابت أن الطفل يولد وهو خلو من أي توجه أيديولوجي ، ويكتسب توجهات الثقافة التي ينشأ فيها عبر عملية التنشئة الاجتماعية ، لكن السؤال الذي مازال يطرح نفسه هو كيف تتم عملية اكتساب القيم ؟ وعلي الرغم من الاهتمام المكثف من جانب الباحثين للإجابة علي هذا السؤال إلا أن عملية اكتساب القيم مازال يحيط بها الغموض، وهو ما أشار إليه هل (*Hill,*١٩٦٠. *P*٣١٧) ، وبعده بأكثر من ربع قرن تضيف (جروسيك وزميلها ديكس) بأن التحدي الحقيقي الذي يواجه المتخصصين في علم النفس هو استكشاف كيفية استدماج القيم المجتمعية ، و معرفة كيف يتبنى الأطفال قيماً واتجاهات معينة (١٩٨٦, *P* , ٢١٨ *Grusec , E.,& . Dix ,T .,*) وفي ذلك إشارة إلي الصعوبة أو الغموض الذي ما زال يكتنف عملية اكتساب القيم .

وقبل محاولة البحث في تراث البحوث النفسية لتفهم هذه العملية نود أن نحدد خطانا ، حيث يفرق العاملون في هذا المجال بين اكتساب القيم وتغيرها ،

فيحدد (ريشر Rescher) عملية اكتساب القيم بأنها العملية التي يتبنى الفرد من خلالها مجموعة قيم معينة في مقابل التخلي عن قيم أخري . أما تغير القيم فيقصد به تحرك وضع القيمة علي متصل من الالتزام إلي عدم الالتزام بالقيمة، فالاكتساب يعني وجود القيمة من عدمه ، أما التغير فهو الدرجة التي يتحدد بها هذا الوجود .١٩٦٩ ,Rescher , N . ( )١١٤: . Pp . ١١١

وسعياً نحو الوصول إلي فهم الميكانيزمات المفسرة لعملية اكتساب القيم سوف نعتمد علي المداخل الملائمة لذلك في أدبيات البحوث النفسية وتقترح الاهتداء بالتيارات الرئيسية في علم النفس كالتحليل النفسي ، التعلم الاجتماعي ، والمنظور الارتقائي في معالجة هذه العملية وفيما يلي نعرض لكل منها :-

أ - منظور التحليل النفسي : -

طبقاً لفرويد . S. Frued ، فإن الشخصية تتكون من ثلاثة أبنية : الهو Id ، والأنا Ego، والأنا الأعلى Super Ego وهذا الأخير يعكس معايير المجتمع ويناضل من أجل حمايتها ، وينشأ من التوحد Identification بالوالدين من حوالي سن الثالثة حيث يستدخل الطفل بعض الأنماط المعقدة من سلوك أحد الوالدين تشمل قيمة واتجاهاته ومعاييره وسماته الشخصية. (هول ، لندزي ١٩٧١ ، ص٦٥)

علي الرغم من تباين النظم الثلاثة التي تعمل الشخصية وفقاً لها ، وسيطرة (الهو) في السنوات الأولي والذي يعبر عن الحاجات الفطرية البيولوجية إلا أن الأنا تقوم بوظيفتها المهيمنة فتعمل علي التوفيق بين مطالب الهو والأنا الأعلى والواقع.

وتحتوي الأنا الأعلى علي الضمير والأنا المثالية وتضم الأخيرة المعايير الأخلاقية أو المثاليات ، بينما يحكم الضمير سلوك الفرد ويعاقبه علي الانتهاكات من خلال الشعور بالذنب ، وقمع أو إعاقة الدوافع الغريزية التي تنتهك الميثاق الأخلاقي الذي إستدمجه الطفل . Eisenberg & Mussen , (P ٢٣(١٩٨٩ .

إذن فالقيم تختزن في الجزء المثالي للشخصية ، وتتم في سياق التنشئة الاجتماعية خاصة الو الدية ٠ويشدد بعض منظري التحليل النفسي المعاصرين ، والذين يطلق عليهم (المتخصصون بسيكولوجية الأنا) مثل فلوجل ***Flugel*** ، سيتلج ***Settlag*** ، علي الدور المهيمن لعمليات الأنا – بدلاً من الغرائز – في تطور الشخصية ، وينبذون فكرة أن السلوك الأخلاقي والقيم يمثلان ببساطة في استدماج القيم الوالدية والمجتمعية منذ الطفولة المبكرة ، ويعتبرون التوحد والتطور الأخلاقي في عمليات إبداعية مستمرة تمتد إلي المراهقة والرشد . وعلي الرغم أن الوالدين قد يسهمان في المحتوي الأساسي للآنا المثالية للطفل ، فإن التوحد مع الأخريين ذوي الأهمية بالنسبة له (المدرسين – الأتراب – الرؤساء ..الخ) يبدو أنها مؤثرة في تغيير التوجهات الأخلاقية ، والقيم تصاحب النضج في بنية الأنا كالتغير من الكف الأخلاقي إلي العطف التلقائي ، ومن التبعية (واستخدام المعايير الخارجية ، ومعايير ذوي السلطة في اتخاذ الأحكام الأخلاقية) إلي الذاتية (التلقائية) ويستطرد (ميوسن وأيزنبرح) أن لمفهوم التوحد أهمية كبيرة في استدماج القيم الإنسانية والمجتمعية ، فإذا كان الوالدان يتسمان بخصائص وقيم إيجابية ، فغالباً ما يتبني أطفالهما هذه الخصائص من خلال التوحد .

(***Eisenberg & Mussen , ١٩٨٩ , P . ٢٤ ; ٢٥***)

وحتى في حالة كون الوالدين أو إحداهما مخيفا أو عقابياً فإن ذلك لا يمنع الأبناء من التوحد بشخصياتهم فيما وصفته (أنا فرويد) التوحد بالمعتدي، (أنا فرويد ١٩٨٣ ، ص ١٠٩)

ب - منظور التعلم الاجتماعي :

يري أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي أن الطفل يكتسب الضمير أو مجموعة المعايير الداخلية والتي في ضوئها يحكم علي ما هو مناسب وغير مناسب من أشكال السلوك بنفس الطريقة التي يكتسب بها الدور الجنسي الملائم للثقافة .وافترض باندورا ***Bandura*** أهمية التعلم من خلال النموذج الاجتماعي

Social Model ، والمحاكاة Imitation ، كذلك التعلم من خلال العبرة Vicarious Learning ، ويري أن الأفراد يضعون معايير يحققونها لأنفسهم من خلال ملاحظة معايير الأخريين والتدعيمات الفارقة لها ، وينتج عن التمسك بهذه المعايير التدعيم الذاتي Self Reinforcement ، بينما يؤدي انتهاكها إلي العقاب الذاتي ، بهذه الطريقة يتم اكتساب السلوك بعيداً عن الضبط الخارجي . (Grusec & Dix . , ١٩٨٦ . Pp. ٢١٨ : ٢١٩)

ويعلق البعض أهمية كبري علي مفهوم التعلم بالملاحظة أو فكرة " الشخص النموذج " في تعلم القيم والسلوك ، فمن خلال عرضه لنتائج البحوث في هذا الصدد يقرر "فلدمان Feldman" أن رؤية شخص يتصرف بكرم وإيثار سيؤدي إلي زيادة سلوك الكرم لدي جزء من المشاهدين ، وبصورة مشابهة ، فرؤية نموذج أناني ينتج عنه سلوك أناني Feldman , R,S. ,١٩٨٧. P ٥٧١.

ومن المحتمل أن يكون النموذج الذي هو في وضع قوة وسلطة بالنسبة للطفل اكثر تأثيرا من تلك النماذج التي لا تمتلك القوة أو السلطة ، وبصورة مشابهة فالنموذج الذي يتميز بالدف والاهتمام بالطفل سوف يكون اكثر تأثيراً ٠(Phares,١٩٨٨, P. ٥٣٧-٥٣٨)

ويعرض (فلدمان) لدراسة أجراها (بريان و تست Bryan &Test) أظهرت تأثيرات النمذجة Modeling في إبداء سلوك المساعدة الاجتماعية ٠ ففي إ حدي الدراسات مر المبحوثين في أحد الظروف التجريبية علي رجل يساعد امرأة في تغيير إطار سيارتها عند أحد الطرق الخطرة ، وبعد ربع ميل مروا علي امرأة تحاول تغيير إطار سيارتها ،لكن هذه المرة بمفردها ويبدو أنها في حاجة للمساعدة ٠ وكان السؤال التجريبي : كم عدد الأفراد الذين سيتوقفون لمساعدتها في المجموعة التجريبية ؟ مقارنة بمجموعة أخري لم تمر من قبل بالنموذج الذي يقدم المساعدة ٠ وأوضحت النتائج أن النموذج كان فعالاً ، ففي المجموعة التي لم تشاهد النموذج توقف ٣٥ فرداً فقط من بين أربعة آلاف شخص ، بينما توقف اكثر من ضعف هذا العدد لتقديم المساعدة من المجموعة التي شاهدت النموذج (Feldman , R,S., ١٩٨٧ .P ٥٧٢) وفي مراجعة

التراث البحثي المتعلق بالنمذجة وفعاليتها في اكتساب قيم المساعدة والإيثار خرج(روشتون) باستنتاج مؤداه انه عند تعرض الأطفال ولمدة قصيرة لمشاهدة نماذج (أشخاص) مهمة في حياتهم ، يمكن أن ينتج لدي فريق من الأطفال زيادة في سلوكيات المساعدة ، وبالطبع ، لا يصدق هذا علي الأطفال الذين لا يفعلون سوي تقليد النموذج أيا كان ، انهم يميلون إلى اتباع النماذج التي لها خصائص تدعيمية لهم . (*Phares,* ١٩٨٨, *P.*٥٣٧) وفي مراجعة حديثة لنظرية التعلم الاجتماعي تم إضافة بعض العوامل الهامة وخاصة المعرفية منها مثل اتخاذ المتطور ***Persepective -Taken*** ، حيث تلعب النوايا وعمليات التقييم الذاتي أدواراً هامة في تنظيم السلوك ، ومن خلال استخدام التمثيلات المعرفية ، يكون بمقدور الأفراد توقع نواتج السلوك والتصرف بطرق يكون القصد منها أحداث الحالة المرغوبة وهم يضعون كذلك أهدافا لا نفسهم ويقيمون أنفسهم بصورة سلبية إذا لم يتصرفوا بطرق متسقة مع تمثيلاتهم المعرفية عن السلوك الملائم ولأن الرضا عن الذات يتلاءم مع الحياة وفق المعايير الداخلية ، يخلق الأفراد الحوافز لضمان ديمومة جهودهم في الحياة وفق المعايير الداخلية وبصورة عامة طبقاً لنظرية التعلم الاجتماعي ، يلعب القائمون بالتنشئة الاجتماعية دوراً رئيسياً في تعلم القيم والسلوك الأخلاقي ، بالإضافة إلي التنظيم الذاتي للأفراد لسلوكهم وفق القواعد والقيم المستدمجة . (٢٩ : ٢٨ . *Pp* , ١٩٨٩ , . ***Eisenberg & Mussen***)

جـ ـ المنظور الارتقائي :

بينما يسعى المحللون النفسيون للبحث عن القيم والسلوك الأخلاقي في جذور العلاقة الانفعالية للفرد ، ينظر أصحاب هذا المنحني إلي النمو المعرفي ، فقد أراد بياجية (١٩٣٢) معرفة كيفية وصول الأطفال إلي الأحكام الأخلاقية عندما يصبحون ناضجين ، والتبريرات التي يقدمونها عن تصرفاتهم (٥٣٦ . *P* ., ١٩٩١ , *Phares*) حسبما يري " بياجية " يأخذ الطفل الصغير (أقل من عشر سنوات) الأشياء علي علاتها ، ويهمل غالبا دقائق الأمور مثل النوايا والمقاصد (التوجه الموضوعي) وعندما ينضج الطفل (بعد العاشرة) ، تصبح الأحكام الأخلاقية مرتبطة بالظروف ونوايا الشخص المتضمنة في

الموقف ، أي أن بياجية ينظر إلي الحكم الأخلاقي علي أنه نتيجة نضج العملية التطورية المعرفي . (Phares , ١٩٨٨ , P ٥٢٩)

واكتشف بياجية (١٩٣٢) أن الأطفال يمرون من خلال مرحلتين متمايزتين علي الأقل في تطورهم الأخلاقي ، كما هو الأمر في تطورهم العقلي ، فحتى عمر ٨ سنوات يكون الطفل لدية أخلاقية تابعة - Heteronomous Morality ، و التي تعني الأخلاقية الخاضعة لقانون شخص آخر ويتم تحديد الصواب والخطأ في ضوء الأشياء التي يعاقب ويثيب عليها الكبار الذين يمثلون رموز السلطة ، ويستخدم محكات بسيطة – مثل إتلاف الأشياء – في الاستدلال علي ردود الأفعال المحتملة للكبار في موقف ما . إلا أنه بعد عمر ٨ سنوات ، تكون المهارات المعرفية للطفل قد نضجت بصورة كافية تسمح بتطور الأخلاق التلقائية ، التي تستخدم مبادئ عامة مشتقة من أحداث يخبرها خلال المرحلة الأولي ، ولكنها تتضمن – الآن – مفاهيم القصد والطبيعة النسبية لقواعد التصرف . وانتهي (بياجية) إلي أن الأخلاقية التلقائية الكلية لا يتم الوصول إليها في العادة قبل مرحلة المراهقة المبكرة .(Samuel ,W ., ١٩٨١ , P . ٣٠٢)

ومثل (بياجية) يعتقد (لورانس كولبرج) أن الحكم الأخلاقي يسير في مراحل ، وإن كان " كولبرج" قد قسمها إلي ثلاثة مستويات ، كل مستوي يضم مرحلتين ؛ ففي المستوي الأول (ما قبل العرفي)صغار الأطفال :

المرحلة الأولي :

وهي (توجه العقاب والطاعة) وفيها تعتمد رداءة أو جودة الأفعال علي ما إذا كان المرء يعاقب أو لا يعاقب عليها .

لمرحلة الثانية :وهي (التوجه الوسيلى النسبي) وفيها يتجه الطفل نحو إشباع حاجاته ورغباته الخاصة .

أما المستوي الثاني :فهو العرفي ويقع في الطفولة الوسطي ، وفيه يتأثر الطفل بالمثاليات الناشئة عن معايير الأسرة أو الجماعة ، ويضم هذا المستوي مرحلتين هما :

المرحلة الثالثة :

وهي (توجه الطفل الطيب أو اللطيف) وفيها تكون الأفعال الإيثارية هي المرغوبة أكثر من الأنانية .

المرحلة الرابعة:

و هي (توجه القانون والنظام) وفي هذه المرحلة يفضل المرء أن يعمل بمقتضى السلطة والاحتفاظ بالنظام الاجتماعي .

أما المستوي الثالث : -

(ما بعد العرفي) ويقع في مرحلتي المراهقة والرشد . وفيه يصبح إحساس الشخص بالصواب والخطأ منفصلاً عن هوية الجماعة ويضم هذا المستوي :

المرحلة الخامسة :- وهي (توجه العقد الاجتماعي) وتتميز بالشعور العام بالصحيح والخاطئ ، حيث الوعي بوجود قيم مختلفة ، وأهمية الاتفاق معها والتحقق من سلامة القصد .

المرحلة السادسة : -

(التوجه الشامل أو العام) حيث يتطور السلوك الأخلاقي بمرور الأعوام ، وتكون المبادئ مجردة وشاملة . (*Phares , ١٩٩١ P . ٥٣٧*)

من خلال هذا العرض الموجز لأفكار أثنين من أبرز منظري المنحي الارتقائي وكما يري (صامويل) يتبين أنهما نظراً إلي استدماج القيم كعملية تطورية ، ذات طابع تلقائي ، حيث يكون الطفل مدفوعاً بالنضج البيولوجي من خلال تتابع تدريجي للمراحل النمائية (وأن اختلفا في عددها) ، وعند وقت معين يظهر الاستدلال الأخلاقي والذي يكون متسقاً مع المرحلة التي يمر بها ، وهي عملية اجتماعية الطابع ، حيث لابد أن يتعرض الأطفال لأمثله علي الاستدلال من مرحلة أعلي مما هم فيها حتى يتقدموا في تطورهم الأخلاقي .(*Semuel , W .,* ١٩٨١ *, P .* ٣٢٠)

DO NOT COPY

من خلال العرض السابق لإسهام التحليل النفسي ونظرية التعليم الاجتماعي والمنظور الارتقائي في تفسير كيفية اكتساب القيم ، نجدها جميعا أجمعت علي أن تلك العملية تتم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية ، فالتحليل النفسي يركز علي دور الولدين في تعليم الطفل القواعد والقيم الأخلاقية والمثل العليا للمجتمع والتعلم الاجتماعي يركز علي النموذج أو القدوة (بالإضافة إلى بعض العمليات الأخرى كالنوايا والمقاصد) والمنظور الارتقائي يكشف عن دور العمليات المعرفية .

بعض محددات اكتساب القيم السياسية

لكل مجتمع من المجتمعات نماذج وأنماط تحدد ما يجب أن يكون عليه أفراده ، حيث تتبلور هذه النماذج والأنماط في شكل صيغ مجردة تشكل ما يسمي بقيم المجتمع أو القيم السياسية ،والتي يحاول المنشئون نقلها للأعضاء الجدد ، بحيث تؤدي في النهاية إلى خلق ما يسمي بالشخصية القومية للمجتمع ، ولايعني ذلك جعل الأفراد نسخاً متشابهة ولكن بصورة تسمح بالفروق التي تبرزها المتغيرات المختلفة (السن ، الجنس ، مستوي التعليم ٠٠الخ) ٠

ففي كل مجتمع يوجد طيف واسع من الفروق الفردية في كل سمات الشخصية تقريبا ، وأيضاً في أنماط السلوك الاجتماعي ، فيبدو أن بعض الناس يسعون بانتظام من أجل مطالب الذات ويضعون اهتماماتهم الذاتية فوق اهتمامات الآخرين ، ويتبعون حاجاتهم ورغباتهم الفردية . وعلي النقيض هناك بعض آخر منشغلون بصورة جوهرية برفاهية الآخرين وصالح الجماعة الأكبر ، وبالطبع يقع أغلب الأفراد بين هذين الطرفين من الأنانية التامة إلي الإيثار الناكر للذات .كذلك من اللامبالاة إلي تحمل المسئولية ، ومن الديكتاتورية إلي الديمقراطية ٠٠٠٠٠إلخ . وتبعاً لأهداف التنشئة السياسية التي تختلف من مجتمع لآخر ، يعمل المنشئون علي إكساب الأفراد مجموعة محددة من القيم ، وبقدر نجاح المنشئين في تلك المهمة بقدر توحد أفراد المجتمع بالقيم السياسية والتزامهم بها . وتنال القيم الأخلاقية والسياسية اهتمام المنشئين نظراً لأهميتها في مساعدة الأفراد في تحقيق التوافق مع المجتمع وما يؤثر فيه من تغيرات ، وما تسهم به في تحقيق الترابط والتضامن الاجتماعي ، وما

DO NOT COPY

تحققه من توازن بين رغبات الأفراد ومتطلبات المجتمع ، هذا بالإضافة إلي إسهامها في توجيه وضبط سلوك الأفراد في المواقف المختلفة (GERHARD, J .,Etal ,١٩٧٥, P١٣٥) . ويتوقف نجاح المنشئين – في تقديرنا – علي عاملين هما :

أ – مستوي الإلزام بالقيمة . ب – مستوي تبني المنشئين للقيمة .

أولاً - مستوي الإلزام بالقيمة :

وبدءاً بمستوى الإلزام ، واستناداً إلي تصنيف (محمد عماد الدين إسماعيل ، ورشدي فام ، نجيب أسكندر ١٩٧٤ ص ٢٣٦ : ٢٣٧) لمستويات الإلزام في ثلاث فئات هي :-

المستوى الأول :

وتأتي القيم الإلزامية Categorical ، والتي تتضمن القيم الدينية ، وكل القيم ذات القدسية والتي تلزم الثقافة الأفراد بها ويرعى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم ، سواء عن طريق العرف أو القانون مثل القيم التي تنظم العلاقة بين الجنسين ، أو العدوان علي الغير .

المستوى الثاني :

وفيه نجد القيم التفضيلية Preferential، وهي التي يشجع المجتمع أفراده علي الإقتداء بها والسير تبعاً لها ويكافيء من ينجح في هذا بطريق أو بآخر ، ولكنه لا يلزمهم بها إلزاماً يتطلب العقاب الصارم ، علي الرغم من أن القيم في هذا المستوى لا تبلغ مبلغ القدسية الموجبة للعقاب لمن يخالفها إلا أنها عظيمة الأثر في توجيه السلوك فعن طريق أساليب الثواب والعقاب غير الرسمية) التي يلقاها من يلتزم بها أو من يخرج عنها بصورة معنوية . ومن أمثلتها النجاح في الحياة العملية بالإضافة إلي ما يمنحه لصاحبه من ثواب مادي مباشر يقابل في البيئة الاجتماعية بالتقدير المعنوي . جـ – المستوى الثالث :

وفية القيم الطوبائية Utopian ، والتي يشعر الأفراد باستحالة تحقيقها بصورة كاملة إلا أنها تؤثر تأثيراً بالغاً في توجيه السلوك ، فمثلاً مقابلة

الإساءة بالإحسان قد يعجز الفرد في واقع الأمر عن الالتزام بها ولكنة مع ذلك إذا تبناها عدل كثيراً من سلوكه حيال الآخرين ٠

القيم السياسية كإطار فكري مثالي للمعرفة يغلف أهداف النظام السياسي والتي يناط بها الحفاظ علي تماسك المجتمع واستقراره، والتي تنبع من تراث المجتمع(الديني) نجد أنها تتراوح بين المستويين الثاني والثالث ، ومع هذا يجب ألا نغفل حقيقة هامة وهي أن ليست هناك حدود فاصلة بين المستويات الثلاثة ، فالإيثار مثلاً إذا اعتبرناه ضمن قيم المستوي الثالث نجده متضمنا في قيم المستوي الأول ٠

ووفقا لذلك فالقيم السياسية_موضع البحث علي الأقل – لها من الإلزام بما يضمن تبنيها ، ولكن إلي جانب ذلك لابد من شيوعها بين الأفراد ، فقد تتخلى بعض الجماعات عن بعض القيم نتيجة الاحتكاك بالثقافات الأخرى .

ثانياُ – مستوي تبني المنشئين للقيمة:

وإذا انتقلنا إلي مستوي تبني المنشئين لقيم المجتمع ومدي التزامهم بها ٠ نجد الأسرة (الوالدين) والمعلم ، وقادة الفكر والرأي في المجتمع ربما هم الذين يتحملون العبء الأكبر في عملية نقل قيم المجتمع ، والذين يتوقف فعالية دور كل منهم علي مدي التزامهم بتلك القيم أو بالأخرى تشابها مع قيمهم ، وإذا سلمنا جدلا بالتزام الوالدين بتلك القيم ، فهل يمكن نقلها للأبناء الذين هم في مرحلة المراهقة ؟ خاصة ما يطرحه البعض من وجود تعارض بين قيم الآباء والأبناء في هذه المرحلة ، ولاستجلاء ذلك فقد اهتمت بعض الدراسات بالوقوف علي هذا الأمر ، فمثلا وجد (باتشمان وأوميلي وجونسون & *Bachman,Omally,Johnston*) أن قيم طلاب السنة الثانية من المدرسة العليا تتوافق مع قيم الوالدين أكثر بكثير مما يفترضه الكثيرون عن وجود صراع * بين قيم الآباء والأبناء ، فهناك تشابه بينهما خاصة القيم الأساسية مثل الأهداف التعليمية والطموحات المتركزة علي المستقبل ٠ كما يستمر

* يقترح د٠ فؤاد أبو حطب استبدال مصطلح تنافر القيم بصراع القيم ، مبينا أن صراع القيم يكون داخل مكونات النسق ألقيمي الواحد بينما التنافر يكون للمقارنة بين درجات مكون قيمي واحد في أنساق مختلفة ، كالمقارنة بين قيم المعلمين والتلاميذ مثلآ ٠ (فؤاد أبو حطب ، ١٩٧٤، ص٦٤)

المراهقون في تأييد الوالدين في القضايا المتصلة بالمجتمع والمسائل الأخلاقية .

(In : Owens , K.,١٩٩٣,P٥٤٠)

لكن ماذا عن قيم الأتراب التي قد تتعارض مع القيم الوالدية ، تضيف (كارين أونيز) بأن مثل هذا التعارض قد لا يقع فيه المرء خلال فترة المراهقة أو لا يقع فيه كل المراهقين ، وطبقاً للبحوث الحديثة فإن امتثال المراهقين يعتمد علي نضجهم ونوع علاقتهم بوالديهم ولعل الأخيرة هي المتغير الحاسم في هذا الشأن حيث يشير تراث البحوث في التنشئة الاجتماعية إلي أن توحد الابن(البنت) بقيم الوالد (الوالدة) يتم بصورة أفضل في حالة كونه إيجابياً ودافئاً في علاقته بالابن .

وعلي هذا فإن المراهقين لا يختلفون كثيراً - بصورة عامة - عن والديهم في القضايا ذات المغزى ، وأولئك الذين لهم علاقة وثيقة بوالديهم قد يختارون الأتراب المشابهين لهم في نظامهم ألقيمي أكثر من المتعارضين معهم.(Owens , K, ١٩٩٣ , ٥٤٢)

وفيما يتعلق بالمعلم ومدي التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه ، أظهرت إحدى الدراسات أن ذلك يرتبط بأسلوب المعلم وعلاقته بتلاميذه ؛ فأسلوب التقبل يؤدي إلي تحقيق التوافق بين القيم الاجتماعية للمعلم وتلاميذه ، وأسلوب الدفء والصداقة يؤدي يؤدى إلي الانتماء ، وأسلوب المعلم الذي يتسم بالتمركز حول العميل يؤدي إلي التوافق في القيم النظرية . (فؤاد أبو حطب ١٩٧٤ ، ص ٧١:٧٢)

وتشير الدراسات الحديثة إلي أن أحد الصعوبات التي تواجه التنشئة القيمية في المدارس المصرية هي غياب دور المعلم القدوة (علي الجمل ١٩٩٥ ، ص٤٦) ولعل ذلك يرجع الي جملة التغيرات التي طرأت علي المجتمع ككل مثل تلك الاقتصادية ، وبالتالي أدت إلى تقلص دور المعلم وانشغاله بأهداف أخرى بخلاف العمل المدرسي كالدروس الخصوصية . وبالتالي فانه من المرجح أن صورة المعلم (القدوة) أصابها الاهتزاز فضلاً عن نظرة المعلم نفسه للعمل

المدرسي والتي أصابها الفتور . مما يسهم في تقلص دور المعلم في نقل القيم .

وتشير نتائج الدراسات التي اختصت بالوقوف علي دور قادة الفكر - في مصر- في نقل القيم إلي تدني دورهم في ذلك ، فمثلاً في إحدى الدراسات التي أجريت علي عينة منتقاة من القادة في المجالات المختلفة والذين يفترض فيهم أن يكونوا المثل والقدوة في الانتماء والتفاعل الإيجابي ، كشفت النتائج عن ضعف انتمائهم للواقع من ناحية ، وعجزهم عن التأثير بشكل إيجابي وفعال من ناحية أخري ، حيث يمارسون سلوكيات لا تختلف عن العامة . (مجدة أحمد ١٩٨٥ ، ص ٢٩٩)

وفي دراستها للانتماء لدي عينة من المثقفين (من أعضاء هيئات التدريس ببعض الجامعات المصرية)توصلت (عبلة إبراهيم١٩٩٣ ،ص٢٥٥) إلي أن المدرج الانتمائي لديهم ظهر للوطن ثم الأسرة ثم الأمة ، وجاء الانتماء (ضعيفاً) علي غير المستوي المطلوب ، ومخالفاً للسياق المنطقي والذي يفرض أن يبدأ من الأضيق إلي الأوسع ، من الأسرة إلي الجماعات الأخرى

ومن الجدير بالذكر أن هناك إشارات متعددة لانخفاض الانتماء لدي المثقفين عموماً ، فمثلاً ما تطالعنا به الصحافة – خاصة القومية – من ممارسات سلبية لسلوكيات الصفوة السياسية * ، والذين من المفترض أنهم يمثلون القدوة الطيبة للجماهير .[٣]

من هذا المنطلق قد يكون من الطبيعي أن تقل قدرتهم علي التأثير في الآخرين(المواطنين) فسلوكياتهم لا تتفق والشعارات التي يطرحونها ولا يلتزمون هم بتنفيذها مما يفقدهم المصداقية ، ويعلق (عبد الرؤف ثابت) علي دور المثقفين في المجتمع المصري الآن بأنه انحصر في اتجاهين :-

١ – مداهنة الحاكم علي حساب الصالح الاجتماعي .

[٣]* علي سبيل المثال ماورد فيما كتبه إبراهيم سعدة بجريدة الأخبار العدد ٢٨١٩ في ١٤نوفمبر ١٩٩٨ عما دار بين بعض أعضاء مجلس الشعب وممثلي الصحافة في المجلس هذا من جانب ، ومع رئيس الوزراء من جانب آخر من تصرفات سلبية لاتتناسب وأخلاقيات الصفوة السياسية .

٢ – وقوف المثقفين موقف اللامبالاة لما يحدث في المجتمع فلا يضيفوا دعماً أو يمنعوا خطئاً .(عبد الرؤف ثابت ، ١٩٩٥ ، ص ١٢٨)

علي أية حال يمكننا أن نرصد وجود فجوة بين قادة الرأي والجماهير العريضة وبالتالي لنا أن نتوقع غياب فاعليتهم . ولذا يدعو (فرج طه) كافة المثقفين وقادة الرأي لأن يجسدوا بسلوكهم الفعلي القدوة الصالحة لمواطنيهم . (فرج عبد القادر طه ١٩٩٣ ص ٢٣٣: ٢٣٥)

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نستنتج أن انتشار القيم السياسية في مصر يقع علي عاتق الوالدين أولاً ويليهما المعلم ثانياً ، ويساعدهما في ذلك مستوي الإلزام بتلك القيم خاصة التي يعززها الدين ويحث عليها .

DO NOT COPY

الفصل الثالث

مظاهر التوتر الدولي

الحرب النفسية

أ- بداية الاهتمام بالحرب النفسية.

ب-أهداف الحرب النفسية .

ج-المبادئ التي تستند إليها الحرب النفسية.

DO NOT COPY

مظاهر التوتر الدولي

مقدمة:

من الثابت أن الحرب تنشأ في عقول الناس وفي عقول الساسة الذين يتحكمون في مصير العالم. ولهذا فإن البداية في تخفيف التوتر الدولي هو الاتجاه إلى هؤلاء الساسة بمحاولة تغيير اتجاهاتهم نحو الحرب وتبديلها إلى غيرها، أي باتجاهات هدفها السلم والحياة الهادئة المليئة بالحب والتعاون.

مظاهر التوتر الدولي:

والتوتر الدولي له مظاهر مختلفة بين دول العالم نستطيع أن نستكشفها من خلال: الهجوم في الصحافة وأجهزة الإعلام المختلفة. توجيه الإذاعات لتأليب الشعوب على حكوماتها. الحصار الاقتصادي بمنع السلع الغذائية التي تحتاج لها الشعوب. عوامل التوتر الدولي: وتؤدي هذه المظاهر عندما يوجه أحدها أو كلها إلى الشعوب بالكراهية بين أي شعبين من الشعوب، وهذا بدوره يؤدي إلى توتر في ميدان العلاقات الدولية. وللتوتر الدولي عوامل وأسباب من أهمها: اختلاف الشعوب من حيث الثقافات: تتباين شعوب العالم في اللغة وفي القيم والمعايير التي تؤمن بها، وهذا يؤدي إلى شعور الشعوب بأنها مختلفة عن بعضها كالشمال والجنوب العرب وغير العرب الخ..... ، وقد ينشأ التوتر بينها لصعوبة التفاهم وتبادل الأفكار هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا قد نجد أن هناك شعبين متفقين في اللغة كانجلترا، وأمريكيا إلا أن خلافهما وتنافسهما على امتلاك الشركات أدى إلى نشأة نوع من التوتر الداخلي غير الظاهر.

DO NOT COPY

التعصب:

ويتمثل التعصب أو النظرة الجنسية في الشعور بالتفوق والرقي من جانب شعب معين أو قيادة شعب معين نحو مجموعة أو شعب آخر، والإحساس بالذكاء والكبرياء وأن باقي الشعوب والمجموعات تعتبر مختلفة بطبيعتها قاصرة في تفكيرها محدودة الذكاء والمثل الحي على ذلك ما حدث قبل الحرب العالمية الثانية، وأدى ضمن ما أدى إلى وقوعها وهو شعور هتلر بأن شعبه من أرقى الأجناس. كذلك تمسك اليهود بأنهم "شعب الله المختار" أدى إلى جعلهم ينظرون لأنفسهم على أنهم سادة منطقة الشرق الأوسط، ولابد أن تسود دولتهم من النيل للفرات، إلى أن جاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ فإفاقتهم الهزيمة.

اختلاف التنظيم السياسي لكل دول: لكل دولة نظامها السياسي النابع من اختيار قادتها أو شعوبها لهذا النظام سواء أكان هذا التنظيم شعبيا رأسماليا أم رئاسيا أم ليبراليا أم ديمقراطيا. ومن شأن هذا الاختلاف أن يجعل كل النظم الأخرى في كل دولة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية تختلف بالتالي من دولة أخرى، ويجعل هذا بالتالي قدرة هذه الدول على إنشاء معاهدات ثقافية أو اقتصادية بين بعضها وبعض أمرا غير ميسور لشعور كل دولة بأن نظامها هو الأمثل، ويكفل للشعب وأبناء الوطن حياة رغدة، فتعار وجهات النظر ويعوق هذا بالتالي تقارب الدول، مما يؤدي إلى التوتر.

الأحلاف العسكرية:

إن قيام بعض الدول بعمل تكتلات فيما بينها ليذكرنا (بالعصابات) التي تنشأ وسط الجماعة الصغيرة. فكما أن (العصابات) *Cliques* تعمل على تفكك الجماعة وعدم تماسكها. فإن قيام دولتين بعمل حلف عسكري يجمع بينهما ومحاولاتهما استقطاب باقي الدول معهما في هذه الأحلاف بدعوى الخوف من حلف عسكري آخر يضم مجموعة أخرى من الدول ليؤدي أيضا إلى زيادة التوتر بين الدول وزيادة الكراهية بين أفراد الشعوب المختلفة. وخير مثال على

DO NOT COPY

ذلك حلف الأطلنطي الذي يضم دول غرب أوروبا وأمريكيا، وحلف وارسو في مواجهته ويضم روسيا ودول شرق أوروبا.

قادة الدول:

سبق أن قلنا أن الاتجاه إلى القادة لتغيير اتجاهاتهم يخفف التوتر الدولي وعلى هذا الأساس فإن هؤلاء القادة يسهمون بصورة بالغة في إحداث التوتر، وذلك بتكتل الشعب وجمع كلمته بإشعاره إن هناك خطرا يهدد سلامة الوطن من جانب دولة ما أو شعوب أخرى معين تكن له العداء وتحاول حصاره أو شن حرب اقتصادية عليه، فيؤدي هذا إلى زيادة التوتر بين أفراد هذه الشعوب.

عدم الاتصال المباشر بين الشعوب:

أن اتصال الشعوب ببعضها يوفر لها ويسهل التفاهم ويقرب ويزيد من الروابط بينها. والعمل على عدم إقامة علاقات بين هذه الشعوب وبعض، يسهل من انتشار الدعايات المغرضة نحو بعض الشعوب التي استهدفت زيادة الكراهية نحوها وذلك ببعدها ويعزلها، فالعزلة تؤدي إلى سهولة انتشار الدعايات المغرضة. والمثال على ذلك ما كنا نسمعه من دعايات عن الاتحاد السوفيتي قبل توثيق وزيادة العلاقات بيننا وبينه في الستينيات، وكان مصدر هذه الدعايات الدول الغربية، وكانت تتركز دعايتهم في أن زيادة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي سيؤدي إلى زيادة تدخلهم في شئوننا الداخلية وفي انتشار معتقداتهم المختلفة بين أفراد الشعب.

المصالح السياسية والاقتصادية:

لا تستطيع دولة أن تعتمد على نفسها اعتمادا كاملا وذلك لأن كل دولة تنتج وتصنع منتجات ومصنوعات تختلف عن المنتجات والمصنوعات التي تنتجها باقي الدول، ولذلك فإن كل دولة تحاول عقد الاتفاقيات التجارية والاقتصادية مع دول أخرى تستجلب منها باقي ما تحتاجه من منتجات غذائية وزراعية وآلات

وصناعات. وفي بعض الأحيان تقوم الدول الغنية بتقديم معونات غذائية أو صناعية للدول الأخرى التي لا تتوافر لديها هذه الموارد الغذائية، وفي محاولة الدول الغنية تقديم المساعدة لدول أخرى نجد أن الشك وسوء الظن ينشأ لدى الدولة التي تتلقى المساعدة إذ يتجه ظن هذه الدولة إلى أن الدولة التي تقدم المعونة والمساعدة يكون من أجل مصالح سياسية، ومن هنا ينشأ التوتر الدولي بين أفراد وزعماء الدولتين.

الإحباط:

ينشأ الإحباط عندما يجد شعب من الشعوب أنه لا يستطيع الحصول على حاجاته الأساسية والاقتصادية من غذاء ومواد أولية. وينقلب هذا الإحباط إلى عدوان موجه نحو شعب من الشعوب تتوافر فيه هذه المواد الخام الأولية التي تسد حاجاته الناقصة. فالاستعمار الانجليزي لمصر قبل الاستقلال والفرنسي بالجزائر كان راجعا لنوع من الإحباط الاقتصادي، فموارد الشعب الإنجليزي والشعب الفرنسي لا تكفي لإطعام الشعب، فتوجهوا لاستعمار شعوب أخرى. فالإحباط إذن يؤدي إلى عدوان وزيادة التوتر بين الشعوب، وهذا ما يدفع إسرائيل دائما إلى القيام بعدوانها على الدول العربية لعدم وجود علاقات بينها وبينهم تستطيع من خلالها الحصول على الموارد التي تحتاج إليها أو تستطيع تصريف منتجاتها كذلك فإن حرب فوكلا ند عام ١٩٨٢ بين بريطانيا والأرجنتين عندما حاولت تلك الأخيرة استرداد هذه الجزر من بريطانيا قامت بريطانيا بشن حرب ضد الأرجنتين لأن هذه الجزر تمثل لبريطانيا موردا من الموارد الاقتصادية الهامة كذلك نجد أهم الأهداف الكبرى لاحتلال أمريكا للعراق هو ضمان الحفاظ على النفط.

التدخل العسكري من أجل الكسب المباشر:

ويرتبط ذلك بالنقطة السابقة إلا أنه يختلف عن الاستعمار الذي ينشأ عن الإحباط في أن التدخل العسكري ينتهي بتحقيق الغرض الذي قام من أجله، وأحيانا يأخذ شكل التدخل العسكري صورة تدبير الانقلابات الداخلية وقيام

حكومات تسمح للدولة المتدخلة بالحصول على المكاسب الاقتصادية المختلفة. والأمثلة على ذلك كثيرة وهو ما تقوم به الحكومة الأمريكية متمثلا في أجهزة مخابراتها في بلاد كثيرة لعل أقربها إسقاط حكومية سلفادور الليندي الماركسية الفكر والتي أممت المصالح الأمريكية وقيام حكومة عسكرية دكتاتورية تعيد للمصالح الأمريكية وضعها القديم وكذلك الحال مع صدام حسين. وهذا الموقف الذي يعمل على التدخل في المصالح الداخلية للبلاد من شأنه أنه يزيد من حدة التوتر بين الولايات المتحدة وبين الدول التي تتعاطف أو تعتنق الفكر الذي كانت تحاول تطبيقه الحكومة السابقة بشيلي.

تمجيد القادة العسكريين القدامى:

تتقارب الدول بعضها إلى بعض من أجل السلام ونبذ الحرب وكل ما يختص بالأخيرة (الحرب) من ذكريات تتعلق بانتصارات شعب على يد قائد من القواد. لأن إثارة هذه الذكريات الحربية وتمجيدها وإلباس البطولات لقادة هذه المعارك الحربية بهدف تتبع خطوات القادة (كذكرى نابليون في فرنسا) والمشي على منوالهم والذي سبق أن ساروا عليه من شأنه أن تثير التوترات لدى الدول وأفراد الشعوب المختلفة خاصة تلك الدول التي انتكست وانهزمت على يد هؤلاء القادة.

الحرب كنشاط موجه من الأفراد نحو غرض من الأغراض: عندما يتكون لدى أفراد مجتمع من المجتمعات طاقة ونشاط زائد يؤدي هذا إلى أن يفكروا في الحرب، وذلك لعدم توجيه هذه الطاقة الزائدة إلى هدف سلمى كالرياضة (ملاكمة – مصارعة). ولذلك تهتم معظم جيوش العالم بالرياضة، فتنشئ الاتحادات الرياضية بأسلحتها المختلفة، وذلك لصرف الطاقة المختزنة لدى هؤلاء الجنود، ويكون ذلك أجدى من امتلاء الجيش بالجنود المتشوقين للحرب. ويقول العالم سيجموند فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي: (تنفس الحرب عن طاقة مختزنة لدى الفرد، وتخلص الأفراد من همومهم ومتاعبهم).

اختلاف المذاهب والعقائد:

DO NOT COPY

ويرتبط إلى حد كبير بمفهوم التعصب. فاختلاف الدول والشعوب فيما تعتقد من مذاهب سياسية وعقائد دينية من الهوة بينها، وذلك يجعل قيام تفاهم بين هذه الدول أمرا تحيطه الأشواك والمصاعب. ولعل إطلاق اليهود على أنفسهم بأنهم "شعب الله المختار" وأن باقي شعوب المنطقة متخلفين عنهم من الأمور التي يزيد من قيام التوترات بينهم وبين باقي دول العالم.

وسائل تخفيف التوتر الدولي:

أوضحنا في الجزء السابق العوامل المختلفة والأسباب التي تقف وراء التوترات بين الدول التي تتلخص في اختلاف الدول في المذاهب ونظم الحكم والمعتقدات وفي قيام بعض الدول بالتدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى..... إلخ. وكما سبق أن بينا في دور الإحصائي النفسي الاجتماعي ***Social psychologist*** والرأي هنا لكرتش وكرتشفيلد حيث يقول في هذا الصدد "أن الدور الحقيقي للإحصائي النفسي الاجتماعي وما يستطيع تقديمه من حلول للمشكلات النفسية الاجتماعية المختلفة في الزراعة والتعليم والصناعة والتدريب يتمثل في التشخيص، وتقديم الإرشاد والاستشارة لجانب واحد من جوانب المشكلة المتمثل في السلوك وذلك لأن حل مثل هذه المشكلات حلا كاملا يتطلب تضافر الكثير من الجهود في مختلف الهيئات الحكومية والمؤسسات الاجتماعية". ومن هذا المنطلق فإن الجزء السبق قد أخذ على عاتقه تشخي العوامل التي تقف وراء التوترات الدولية ويتولي الجزء الحالي تقديم المقترحات لتخفيف حدة التوتر. وتتمثل طرق ووسائل تخفيف التوتر الدولي التي اقترحها كرتش وكرتشفيلد فيما يأتي:

خفض مستوي الإحباط الذي يسود العالم:

إن مفهوم الإحباط على المستوي الفردي يعني أن الفرد له حاجاته ومتطلباته التي لا يستطيع إشباعها، وتتطلب طبيعة المجتمع نفسه من الإنسان أن يتقبل إحباط حاجاته ويعتاد على درجة من إنكار الذات وهناك نوعان من الإحباط: شخصي وبيئي وتأتي والإحباطات الشخصية من العجز الشخصي مثل الذكاء

المنخفض أو الافتقار إلى القوة البدنية أو وجود لبعض الأمراض أو العاهات التي تعجز الفرد. وتأتي الاحباطات البيئية من العوائق التي في البيئة مثل القيود التي يفرضها الآباء أو الفقراء أو الموانع الفيزيقية. ونستخلص من ذلك أن الحرمان من إشباع الحاجات الضرورية ومن الأمن الاقتصادي والاجتماعي والنفسي على مستوى الجماعات بل على مستوى الدول يؤدي إلى إحباط وهذا الإحباط يصبح قوة عدوانية يوجهها أفراد شعب ما إلى الشعوب الأخرى. ويقول عالم النفس الأمريكي جون دولارد *John Dollard* مفسرا ذلك بقبوله: إن الاستجابة البدائية للعدوان هي فعل تدميري موجه ضد الموضوع أو الشخص المحبط وهناك طرق لخفض هذا الإحباط:

تحطيم الاحتكار الاقتصادي التي تفرضه بعض الدول على بعضها الآخر. فيتسنى لكل دولة عن طريق التبادل التجاري و إشباع حاجات الأفراد الاستهلاكية والضرورية. كما ان تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع، لا يشعر أحد بالغبن والظلم وإن هناك فروقا في المعاملة.

تطبيق مبادئ الديمقراطية:

وتتلخص المبادئ الديمقراطية في أن يكون الحكم من الشعب للشعب وبالشعب. وينشأ عن أن يكون نوع الحكم بهذه الصورة أي لا ينفرد الحاكم بالسلطة، فيورط شعبه في حروب باردة (عن طريق الدعايات المغرضة في التصريحات الصحفية وفي الإذاعات الموجهة) أو حروب تستخدم فيها الأساطيل والمدافع والجنود إذا إنفراد بالحكم وحده. ففي ظل النظام الديمقراطي يسمح للأفراد بالتعبير عن آرائهم بحرية فيما يواجه المجتمع كوارث وأزمات فيجنبون أنفسهم الدخول في صراعات مع أي دولة أخرى إلا إذا كان ذلك يحميهم من عدوان منتظر ومتوقع بلا محالة.

تحسين مستوي الصحة العقلية:

تشمل الصحة النفسية، كما تعرفها الجمعية الأمريكية للصحة النفسية الإجراءات التي تخفض من مدى انتشار الأمراض العقلية عن طريق الوقاية

DO NOT COPY

والعلاج المبكر وتعمل على تدعيم الصحة النفسية، ويجب أن يضمن البرنامج المناسب للصحة العقلية مجهودات واسعة النطاق لتعليم الناس الصحة النفسية بتصحيح المفاهيم الخاطئة المنتشرة عن المرض العقلي والتي تمنع الناس من التماس العلاج للأعراض المبكرة للمرض العقلي إذ أن من المفاهيم الخاطئة عن المرض العقلي: أن المرض العقلي غير قابل للشفاء وأن المرض العقلي عار(١). وبهذا البرنامج الذي يعمل على نشر العلاج السيكولوجي على اوسع نطاق ممكن مع الاهتمام بتكوين الشخصية القوية، يؤدي إلى خفض مستوي الاحباط ويقلل من احتمال العدوان.

التعليم من أجل نشر الوعى العالمي:

وذلك بقيام الدول بعمل البرامج التعليمية التي تتضمن دراسة تاريخ باقي شعوب العالم وعاداته وقيمه معتقداته، وهذا يؤدي إلى اهتمام كل شعب بالشعوب الأخرى كما يعمل على التعريف بين هذه الشعوب في القيم والمعتقدات والأهداف وإهمال الفروق الفردية بينها *Individual difference* والتي تؤدي إلى التعصب والتوتر.

تغيير الاتجاهات:

وذلك بقيام كل دولة من الدول بتصحيح المفاهيم الخاطئة التي بثتها الدعايات المغرضة عنها لدى باقي شعوب العالم، وذلك عن طريق توجيه الإذاعات للنشرات بأن ما يسمونه من دعايات أمر غير صحيح ويجب ألا يكتفي عند تغيير اتجاهات شعب من الشعوب بالكلام، بل يجب أن تطرح الأمثلة المادية الملموسة، وقد يقتضى الأمر عمل زيارات لأبناء الشعوب الأخرى يرون فيها أن نظام الذين سمعوا عنه سلبيات كثيرة من خلال الدعايات العدائية قد قام بعمل الكثير من المشروعات التي أدت إلى رفاهية الشعب وسعادته.

تحقيق المطالب الضرورية اللازمة لإتمام الوحدة العالمية وذلك عن طريق:

DO NOT COPY

العمل على نشر أو إيجاد اتجاهات مشتركة بين الشعوب كالمحافظة على السلام ونبذ الحرب والعدوان، وحب الإنسانية لا الاقتصار على حب القومية فقط. العمل على توحد الشعوب وتماسكها مع بعضها في منظمات عالمية لها شعار، أو إشعار كل شعب أن المنظمة الدولية تعمل من أجل العالم كله ومن أجله أيضا، وأنه يجب أن تنضم لها طل شعوب العالم. إبراز المنظمات الدولية في المجال الإدراكي للشعوب بأن تنتشر المعلومات الكافية عن هذه المنظمات.

التدريب على المهارات اللازمة للتعاون الدولي، إذ أنه ليس من الممكن الوصول لتعاون عالمي إلا إذا علمنا الشعوب طرق التعاون على مستوي الجماعات الصغيرة كالأسرة والمدرسة والحي. وتعمل الكثير من الدول على قيام التلاميذ الأوائل في الشهادات العامة برحلات يزورون فيها بعض المؤسسات العلمية والتعليمية والتاريخية بدون أخرى.

خفض الصراعات الأيديولوجية:

وذلك بعدم إشعار الشعوب بأن هناك نظاما رأسماليا أو شيوعيا أحسن من الآخر أو أفضل منه، بل يجب أن نعلم الناس أن لكل شعب أيديولوجيته الخاصة به والنابعة من تاريخه ومصلحته وأنه من الممكن إقامة علاقات تجارية صناعية وعلمية بين هذه الأيدلوجيات ما دامت الدول لا تتدخل في شئون بعضها، ويتم خفض الصراعات الأيديولوجية و يكون ذلك عن طريق الأمثلة الملموسة اقتصاديا واجتماعيا.

استخدام الأساليب السليمة في حل التوترات الدولية: تستخدم منظمة وهيئة الأمم المتحدة أساليب ردع في مواجهة الشعوب المعتدية والتي تفكر في العدوان كالحصار الاقتصادي كما حدث في جنوب أفريقيا لتفرقة حكومتها العنصرية بين البيض والسود من أهل أفريقيا والمقاطعة التجارية. (٢)

البحوث والدراسات:

إن الدراسات عبر الحضارية *Cross cultural research* والتي تهدف إلى معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين الناس في مختلف الحضارات والثقافات تمدنا بمعلومات أكثر في فهم سلوك الناس بوجه عام. ما معتقداتهم؟ ما الذي

DO NOT COPY

يحبونه؟ وما الذي يكرهونه؟ كيف يفكرون؟ وكيف يستجيبون؟ ونعرض فيما يلي لبعض الدراسات التي استهدفت موضوع السلوك العالمي *International behavior* وزيادة التقارب والتفاهم بين الشعوب وكذلك التوتر في العلاقات الدولية.

دراسة محمود أبو النيل عن سيكولوجية التوتر فى العلاقات بين مصر وإسرائيل قبل موعد الانسحاب النهائي من سيناء فى ٢٥ إبريل ١٩٨٢:

مقدمة: أن المتتبع للأحداث الجارية فى الشرق الأوسط عامة وفي كل من مصر وإسرائيل خاصة ،وذلك في فترة الشهور التي وقعت ما بين وفاة الرئيس المصري أنور السادات فى السادس من أكتوبر ١٩٨١(٤) وبين الانسحاب النهائي من سيناء في ٢٥ إبريل ١٩٨٢ ،ليجد أن العلاقات بين مصر وإسرائيل قد سادها التوتر ،مما خشي حينئذ أن يترتب على ذلك الكثير من الأمور الممكن أن تحدث نتيجة ذلك كقطع للعلاقات الطبيعية التي توصلت إليها الدولتان والمتمثلة فى تبادل السفراء ،وعدم الجلاء عن سيناء ،ولقد اتضحت حالة التوتر هذه فيما صحب تصريحات المسئولين فى الدولتين خاصة إسرائيل من تهديدات ظهرت على لسان شارون وزير حرب إسرائيل فى مارس ١٩٨٢ وكذلك فى الصخب الواقع فى المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء والذى كان ينذر بعدم ترك المستوطنين للمستوطنات ولقد شهد المراقبون للأحداث أن التوتر لم تكن أعراضه قاصرة على ما نقلته أجهزة الأعلام فقط بل وما تضمنته أيضا الرسائل المتبادلة بين الأطراف الثلاثة المعينة فى اتفاقات السلام والزيارات غير المعتادة التى قام بها المسئولون فى دول تلك الأطراف الثلاثة ولقد عكست كل هذه الشواهد والأعراض بما لا يضع مجالات للشك حالة شديدة من التوتر فى العلاقات الإسرائيلية بمصر.

التعويض:

والتعويض *compensation* هى نفس الحلية التي يلجأ إليها المريض النفسى بعيد عن صور التوافق النفسى السوي فنتيجة شعور إسرائيل بالعجز المحبط

---

[٤] والذى كان ضمن ثلاثة هم: الرئيس كارتر ،والرئيس المصرى السادات ،رئيس وزراء إسرائيل بيجين وضعت اتفاقات كامب ديفيد على أيديهم

DO NOT COPY

لجلائها عن سيناء فإنها تلجأ إلى التعويض عن ذلك بفرض سيطرتها بصور ما فى مكان أخر وذلك تحقيقا للعدوان كأساس رئيسي فى نشأتها وتوسعاتها وهذا بالفعل ما قامت به عندما طبقت القوانين المدنية الإسرائيلية على هضبة الجولان السورية المحتلة وتحاوله فى كل من الضفة الغربية وقطاع غزة المحلتين والذى اصطدام آنئذ بانتفاضة شعبية كبيرة نتيجة عزل عمد الضفة الغربية تمهيدا لهذا التطبيق وإن حققت تلك المحاولة التعويضية الزائدة عن الحد لإسرائيل نجاحا من وجهة نظرها إلا أن ذلك كان على حساب علاقاتها الدولية وتمثل ذلك فى قرار مجلس الأمن الذى رفض هذا الضم ونفس هذا السلوك التعويض يلجأ إليه المريض النفسي.

الإزاحة:

ولقد أدى الإحباط أيضا بالسلوك الإسرائيلي إلى اللجوء إلى حيلة الإزاحة ***Displacement*** والتي بها يعاد توجيه الانفعالات المحبوسة نحو موضوعات أو أشخاص غير الموضوعات أو الأشخاص الأصلية وبما أن اتفاقيات السلام قد ألجمت إسرائيل خاصة أن أمريكا طرفا فيها تخشاه لو فكرت فى عدم الانسحاب ولهذا فهى. تحاول إزاحة هذا العدوان "الملجوم" نحو الجنوب اللبناني بحجة أنه مصدر نشاط الفدائيين.

الإنكار:

ولا يقتر وقوف الحيل النفسية وراء السلوك الرسمي بل يقف أيضا وراء السلوك الجماهيري للمستوطنين مثلا فى حيلة الإنكار ***Denial*** أي تجنب الواقع المؤلم نتيجة جلاءهم عن مستوطنات سيناء بتجاهل هؤلاء المستوطنين التام لإخلائهم لها رغم من وجود الدليل المقنع بضرورة جلاءهم عنها إلا أنهم ينكرون ذلك بالتشبث بالوجود بها وبعودتهم إليها سرا إجلاءهم عنها بالقوة بواسطة الجيش.

العدوان:

DO NOT COPY

ويظهر النتاج النهائي للحل الدفاعية النى تقف وراء السلوك الإسرائيلي فى العدوان سواء كان ابترازا للطرف الآخر أم لإحراجه وأن المتتبع لنشأة إسرائيل يجد أن العدوان يمثل الأساس التي قامت عليه منذ عام١٩٤٨ وما قبله وتطبق إسرائيل العدوان بمستويين فى علاقتها مع العرب المستوى الأول يأخذ صورة "التنفيس بالتنفيذ"*Acting out* وذلك مع الدول العربية التي ترفض الاتفاقات معها وبما أن إسرائيل لا يمكن أن تتخلص من العدوان لأنه يضرب إلى أمد بعيد فى أصولها وجذورها منذ أن كانت وهما ويمثل ركيزة وجودها كذلك فإنها تلجأ إليه حتى مع من اتفقت معه من الدول العربية بشكل مخفف وهذا المستوى الثاني من العدوان والذي تتضح صورته كما سبق الإشارة فى افتعال الخلافات ومحاولات الابتزاز والإحراج لكسب أقصى ما يمكن كسبه من وقت في تأخير جلاءها سيناء والتى استولت عليها إسرائيل باستخدام ما أسميناه((المستوى الأول من العدوان)) ولقد أرجع الكثير من علماء النفس مصدر استخدام السلوك الاسرائيلى للعدوان أو اتصافه بالعدوان، واختيارها له كأسلوب فى علاقاتها الدولية مع العرب بالذات إلى عمليات التعلم *Learning* وأساليب التنشئة الاجتماعية*socialization* التى يتطبع عبيها الطفل فى المجتمع الاسرائيلى ، وقد يأخذ العدوان لدى إسرائيل صورة استجابة العراك تلك التى وصفها عالم النفس الأمريكي جون دولارد *John Dollard* بأنها عبارة عن: رد فعل تدميرى....)). لكن ادراك إسرائيل أن الفعل التدميرى سيؤدى بها إلى مأزق لا تحمد عقباه خاصة أمام أمريكا كما سبق الإشارة لذلك فإنها بدلا من أن تلجأ للفعل التدميرى على حد قول جون دولا رد فأنها تلوح بصورة أخرى من هذا الفعل يتمثل على حد قول دولارد أيضا فى: الألفاظ الجارحة، أو الحجج الواهية أو النقد سواء كان صريحا أم ضمنيا)).

الابتزاز:

ويتمثل العدوان بصورة عامة فى العلاقات الدولية فى قيام أحد الأطراف، والذى عادة ما يكون محتلا لأرض الطرف الآخر كما هو الحال فى احتلال إسرائيل للأراضي العربية بمحاولة اعتصار الطرف الآخر من خلال الضغوط والمطالب الطائلة. وهذا ما فعلته إسرائيل عند الحديث عن ترتيبات برنامج زيارة الرئيس المصري حسنى مبارك لها إذ وضعت شرطا للزيارة رفضه الرئيس المصري

DO NOT COPY

وهو أن تكون القدس ضمن برنامج الزيارة لإسرائيل وألا لغتها، وذلك لتوحي بأن الانسحاب من سيناء يرتبط بهذه الزيارة. والدافع النفسى وراء ضغوط إسرائيل ومحاولاتها الابتزازية هو أنها تفترض وهما أن مصر تسعى لإنجاز الانسحاب بأي ثمن ولذلك فأهنها ستقبل هذا الشرط، فتكون بالتالي زيارة الرئيس المصري للقدس اعترافا ضمنيا بأنها عاصمة لإسرائيل. كما أن الدافع النفسى الآخر يتمثل فى السعي المتواصل لاختيار حسن نوايا مصر والتزاماتها باتفاقيات السلام. وهكذا تتضح صورة العدوان بالابتزاز فى علاقات إسرائيل الدولية بمصر.

افتعال الخلافات:

وعندما لا تجدي ضغوط الطرف القائم بالعدوان في مرحلة النزاع حول تنفيذ الاتفاقيات فإنه يقوم بافتعال الخلافات وهذا ما أسماء عالم النفس الأمريكي جون دولارد كما أشرنا "بالحجج الواهية "محاولا عدم الوفاء بالتزاماته وهذا ما فعلته إسرائيل في مرحلة من مراحل انسحابها الأخير من سيناء فقبل التاريخ المحدد لذلك وهو٢٥ إبريل ١٩٨٢ ولما لم يفلح ضغطها على مصر في أن تكون القدس ضمن برنامج زيارة الرئيس المصري لجأت إلى افتعال الخلافات حول رسم الحدود فى خمسة عشر موقعا وإصرارها في تصريحات المسئولين بها على تسوية الأمر قبل الانسحاب كذلك قيامها بإثارة المستوطنين فى سيناء بعدم الجلاء عن هذه المستوطنات لتتخذ من موقفهم سندا عندما ترغب المماطلة في الانسحاب ويكون حينئذ مبررها أمام العالم.

ج- عدوان دق الإسفين: ويقف وراء الابتزاز عدوان آخر يتمثل في قيام إسرائيل بدق إسفين بين مصر والدول العربية بإصرارها على أن تكون زيارة رئيس مصر متضمنة القدس. كما سبق أن أشرنا ذلك المكان الذي يعتب في نظر المسلمين

١- أشار الدكتور خلدون إلى أن السكرتارية الكاثوليكية المسئولة عن العلاقات بين المسلمين في فرنسا قد أخرجت كتبا لتعريف النصارى بدين

المسلمين مثل كتاب "نحن جميعا بنو إبراهيم" ويعتبر هذا الكتاب ومثله خطوة هامة في التعاون النزيه بين النصارى والمسلمين (٢-٤).

DO NOT COPY

الحرب النفسية

الحرب النفسية من حيث المفهوم، يمكن النظر إليها باعتبارها حملة شاملة تستهدف التغلغل إلى ثوابت القيم والقناعات الراسخة والتأثير على الروح المعنوية عند الشعوب أو الجماهير أو الجيوش على حد سواء بهدف كسرها أو تفتيتها بما يتلاءم مع أهداف الجهة التي تشن هذه الحرب أن الحرب النفسية لها تسميات عديدة مثل:.

ـ حرب العقول ـ حرب الأذكياء ـ الحرب العلمية ـ الصراع بين الأمم.

أولاً: مقومات الحرب النفسية وأهدافها:

(١محاولة السيطرة على العقول والأفكار للتأثير على الرأي العام.

(٢العمل على إضعاف ثقة الشعوب في نفسها وفي قيادتها.

(٣العمل على تحطيم ترابط الجماهير تمهيد للسيطرة عليها.

(٤استغلال معاناة الشعوب من الأزمات الاقتصادية.

(٥إضعاف القيم الدينية السائدة.

(٦تنمية الخلافات الطائفية والحزبية تمهيداً للغزو الفكري.

(٧تحريف الحقائق.

(٨استغلال الثقافة وكبار الكتاب في تزييف الحقائق.

تعد الدعاية تطبيقاً لمبادئ الاتجاهات النفسية بوصفها سلاحاً يمكن استخدامه لإضعاف إرادة العدو القتالية وبث الفرقة بين صفوفه من خلال التحكم في محتوى المعلومات الموجهة إليهم وفي عملية تداولها بواسطة أدوات الإعلام المختلفة، ولهذا التحكم مستويات هي: _

DO NOT COPY

أ – حجب معلومات بعينها تجنباً لما قد تحدثه هذه المعلومات من آثار إما إيجابية في نفوس الطرف المستهدف بالحرب كالتعتيم الإعلامي على خسائر أحدثها في موقعة ما من المعركة، وإما أثار سلبية في نفوس أفراد القائم بالحرب كوقوع أخطاء كما حدث في حرب الخليج الثانية حينما تعمدت هيئات الإعلام الأمريكية تقديم صورة بعينها لضرب العراق – وتكرر الأمر ذاته في أفغانستان – تظهر انطلاق الصواريخ وليس سقوطها حتى لا يظهر حجم الكارثة التي أحدثتها هذه الصواريخ بإصابتها مستشفيات أو مدارس... الخ، وقد كشفت سجلات الحكومة الأمريكية بعد الحرب أن ٧٠% من أطنان القنابل التي ألقيت على العراق والكويت لم تضرب الاهداق التي كان يراد ضربها (الدباغ، ١٩٩٨: ٢٢٠)، كذلك يتم عزو حرص إسرائيل عزل بعض مناطق الضفة الغربية في إبريل ٢٠٠٢ – خاصة جنين – عن الإعلاميين إلى الهدف نفسه.

ب- تشويه المعلومات إما بحذف جانب منها وإما إضافة أجزاء إليها وإما إعادة ترتيب فقراتها بحيث يحدث ذلك تغييراً مقصوداً في معناها مما يترتب عليه استنتاج بعينه يخدم أهداف القائم بالتشويه (يظهر التاريخ الإسلامي دوراً لليهود في هذا المضمار فيما يسمى "الإسرائيليات"، وفي الوقت الراهن تمارس إسرائيل هذا التشويه بمهارة شديدة ويقدم الواقع المعاش ووضع سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني أمثلة بارزة لذلك).

ج- تقديم المعلومات بطريقة غامضة تساعد على تضارب الفهم والتأويل مما يرسخ الخلافات وبعمقها ويشعل الفتن (كما فعل المستشرقون بأحداث تاريخ الأمة الإسلامية ومصادر فكرها على سبيل المثال.

د- إعاقة تبادل المعلومات بخلق صعوبات تمنع الاتصال المباشر بين شرائح الشعب وإثارة التشكيك المتبادل بينهم (لذا تبدأ أمريكا معاركها – كما حدث في العراق ١٩٩١ وصربيا ١٩٩٩ – بتدمير شبكات الاتصال).

هـ - تضخيم الأخطاء التي وقع فيها أفراد المستهدف بالحرب واستغلالها للنيل من روحهم المعنوية، وهكذا توظف أمريكا بعض الحوادث التي ارتكبها – أو

تدعى ارتكابهم لها – أفراد من جماعات ما يسمى "الإسلام السياسي" للنيل من الأمة العربية والإسلامية.. (عبد المنعم شحاتة، ٢٠٠٤)

أهداف الحرب النفسية: -

تعد الحرب النفسية مبادرة طرف ما بعرض موقفه أو وجهة نظره على جمهور بعينة يغرض استمالته إلى تبنى الموقف أو وجهة النظر هذه ورفض غيرها (*Winick,* ١٩٩٦) لذا هي نوع من الدعاية يتغير مضمونها وأهدافها باختلاف الجمهور الذي تستهدفه، وهكذا تصبح أهداف الحرب النفسية على النحو التالى: -

١- منها ما يستهدف أفراد العدو بواسطة ما يلى: -

أ- تضخيم أخطاء وقع فيها بالماضي واستغلالها للنيل من الروح المعنوية لأفراده لتثبيط همهم (الهاشمى، ١٩٨٩: ٢٧٢).

ب- تلفيق أخبار وبث شائعات وفكاهات (نكات) تعمل على إشاعة الفرقة بين قطاعات العدو وإثارة الشك داخلهم لإضعاف إيمانهم بقضيتهم ومبادئهم، وهنا يميز أهل الاختصاص بين ثلاثة أنواع للحرب النفسية هي: -

١- الإستراتيجية، التي تسعى إلى تحطيم كامل لإرادة المستهدف بالحرب من خلال حملة شاملة وممتدة زمانا ومكانا لجعل وضع معين أمراً واقعاً (ويتعرض المسلمون لحرب نفسية من هذا النوع ترسخ وضع الضعف والتشرذم).

٢- التعبوية، وتسعى للإسراع باستسلام العدو من خلال بث الشك في إمكانية صموده وإشاعة اليأس في تحقيق النصر وزعزعة الإيمان بالمبادئ والتقليل من فعالية عملياته وخلق حالة التذمر بين مقاتليه والتشكيك في قياداتهم وإيجاد رافضين للحرب مناوئين لحكوماتهم يدعون إلى الاستسلام أو الفرار (تشهد

DO NOT COPY

الأراضي الفلسطينية هذا النوع من الحرب النفسية وكذلك العراق).

٣- التعزيزية، التي تستخدم أساليب الترهيب والترغيب لإقناع المهزوم والمستسلم بأن وضعه الحالي نهائي وأن مصلحته مرتبطة بتقبله هذا الوضع وتعاونه مع المنتصر فيها (وتشهد فلسطين المحتلة هذا النوع من الحرب (الدباغ، ١٩٩٨: ٤٨-٥٠).

٢- ومنها ما يستهدف شعب القائم بالدعاية: مثل: -

أ- شحن مشاعر الكراهية نحو أفراد الطرف الأخر وتكثيفها ضدهم.

ب- المحافظة على الروح القتالية لأفراد المجتمع، ليس هذا فحسب، بل العمل على زيادتها بشكل تصاعدي مع استمرار الحرب قائمة (***Brown*** , ١٩٦٩: ٨٢).

ج- تهيئة الشعب لتحمل مخاطر حرب قد تقع (أو التعرض لسلاح لم يستخدم بعد في صراع قائم كالسلاح النووي)، ونموذج لهذه التهيئة جهود كل من: - هيئة الخدمات الإذاعية زمن الحرب ***WTBS*** – والمنظمة البريطانية للتحذير والمراقبة ***UKWMO*** التي نشطت خلال النصف الثاني للقرن العشرين، وتفرع عنها أكثر من ٣٠٠ آلاف لجنة عسكرية إضافة إلى عدة مجموعات من المتطوعين، وأسفرت هذه الجهود عن إنتاج أفلام ونشرات وتنفيذ حملات متتابعة لكشف مخاطر حدوث انفجار وتوعية الجمهور بكيفية التعامل مع نتائجه (١٩٩٦ , ***Fox***).

٣- ومنها ما يستهدف طرفاً ثالثاً لا يشارك في الحرب، بغرض الحفاظ على حياده في البداية ومن ثم جذبه إلى تبنى موقف القائم بالحرب كسباً لدعمه (***Winick,*** ١٩٩٦) لذلك تركز الحملة الموجهة إليه على إبراز التشابه بينهما وتقوية روابط الصداقة بين شعبيهما وتنميتها.

DO NOT COPY

المبادئ التي تستند إليها الحرب النفسية: -

الحرب النفسية إذن هي نوع من الدعاية الموجهة إلى جماهير أطراف ثلاثة، هذه الدعاية تمثل مبادرة أحدها بتهيئة الجو لشن الحرب، هذه المبادرة تكتسب أهميتها في أنها تجنب القائم بالحرب أن يصبح في موقف الدفاع، فالمؤرخون يرون أن ألمانيا النازية فقدت المبادرة في الحرب النفسية وبدد قادتها جهودهم في الرد على الدعاية المضادة، ويعد هذا أحد العوامل التي أسهمت في هزيمتها (Brown , ١٩٦٩: ٨٦). ويتوقف نجاح هذه المبادرة على استفادة الحملات الدعائية من مبادئ الاستمالة وأسس تغيير الاتجاهات النفسية بما في ذلك فهم الخصائص الثقافية والنفسية للجمهور الذي تستهدفه، من هنا ضرورة إنشاء لجنة خبراء من تخصصات علمية متنوعة مهمتها وضع الأهداف العامة والمرحلية وخطط تحقيقها سواء على الأمد البعيد أو القريب في ضوء كل من: - مبادئ الاستمالة – وخصائص الجمهور الذي تستهدفه، إذ تختلف المبادئ العلمية التي يمكن أن توظفها الحرب النفسية تبعاً للجمهور المستهدف على النحو التالي: -

أولا: - في حال كون الدعاية موجهة إلى جمهور القائم بها أو جمهور محايد، يكون التركيز على ما يلي: -

١- ربط المعركة المزمع دخولها بنبوءات أو أفكار معينة تعمل على انتزاع – لاستنادها إلى نسق فكرى "أيديولوجي" معين – التسليم المسبق بوجوبها وربما قدسيتها، أمثلة هذا الربط ادعاء أوربي العصور الوسطى أن معركتهم ضد المسلمين إنما هى لتحرير مهد المسيح من الكفار فيما سمى " الحروب الصليبية " بجولاتها المتعاقبة، مثال أخر يتمثل في الدعاية الإسرائيلية الموجهة إلى الغرب المسيحي ومؤداها أن معركة إسرائيل ضد العرب هي نفسها الحرب التي تنبأ بها الإنجيل من أن معركة ستنشب بين أهل الخير (اليهود) وأهل الشر (العرب)، و الأمر الذي مكن إسرائيل من حصد دعم لا محدود من المسيحيين لعل صورته الصارخة تقدمها الولايات المتحدة (انظر أحاديث الرئيس

"بوش" الابن واستخدامه ألفاظ مثل الحرب الصليبية ومحور الشر).

٢- تبرير الدخول في المعركة كما فعلت الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية، وكذلك فيما تسميه" الحرب ضد الإرهاب "التى بدأتها من أفغانستان عام ٢٠٠١، إذ قال قادتها أنهم قاموا بالحرب لإنهاء المعارك القائمة ولتحقيق العدالة (المطلقة) وجعل الجميع يتمتع بالحرية والأمن والسلام والديمقراطية. وجزء من هذا التبرير هو تضخيم قوة الخصم وإبراز وحشتيه كما فعل منفذو الدعاية البريطانية حينما صوروا هجوم ألمانيا على بلجيكا أثناء الحرب العالمية الثانية بأنه هجوم جيش جرار على صبى صغير (المرجع نفسه)، وكما فعلت الدعاية الأمريكية أثناء حرب الخليج الثانية برسم صورة للرئيس العراقي تربطه ب: " هتلر " وربط الشخصيتين هو ربط لصورة الدمار الذي لحق بأوربا على أيدي "هتلر"، والذي ينتظر العالم على أيدي "صدام"، وهو ربط قصد به حشد العالم ضد العراق كما كان ضد "هتلر" (الدباغ، ١٩٩٨: ٢٣١).

٣- وحجر الزاوية في التبرير هذا هو إبراز الصورة الوحشية للخصم (توظيفاً لنتائج بحوث تكوين الانطباع والإدراك الاجتماعي)، استناداً إلى مبدأ نفسي هو التنميط أو القولبة ***stereotyping*** أى عرض متكرر لصورة مسطحة وخاطئة ومفرطة التبسيط في مضمونها عن الشعب المستهدف، تتجاهل التنوع بينهم، ويتم تناقلها دون مطابقتها مع خبرات مباشرة – إن وجدت – مع أفراد من الشعب المستهدف (عبد المنعم شحاته، ٢٠٠١: ٢٦ – ٢٧)، وهذه الصورة النمطية تضخم ملامح بعينها حتى تبرز دلالة معينة كالقسوة والجهل والبدائية.. وما شابه كي تستثير رفض متلقيها وكراهيته وتعصبه ضد كل من يتشابه مع هذه الصورة، وهكذا تقدم وسائل الإعلام الإسرائيلية – الروايات والأفلام السينمائية والتلفزيونية وأفلام

الرسوم المتحركة والإعلانات – أو المتحالفة معها كل ما هو مثير للكراهية في صورة العربي المسلم وتسمه بالجبن والتخاذل والنفاق والتبذير والانقياد للشهوات والتخلف وتفويت الفرص للتقدم والسلام.... الخ.

ثانيا: - وفي حال كون الجمهور العدو هو المستهدف بحملات الحرب النفسية، يتم الاستناد إلى ما يلي: -

١-خلق حالة من الصراع النفسي (من نمط الإقدام – الإحجام أو الاقتراب – الابتعاد) لدى الجنود بواسطة محتوى دعائي يؤكد لحرب مدمرة لا تبقى ولا تذر فخصمهم لا يقهر ولا أمل في مواجهته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تبرز الدعاية إمكانية النجاة من القتل وحماية الأهل بالفرار أو الاستسلام (يعكس الجدل المثار عام ٢٠٠٢ حول جدوى العمليات الإستشهادية في فلسطين المحتلة استغلال الدعاية الإسرائيلية هذا المبدأ).

٢-استغلال الحاجات الأساسية الأولية كحافز الجوع والعطش... الخ لتحطيم معنويات الأفراد وإذلال القادة وتحقيق مكاسب تفاوضية، وتمارس إسرائيل هذا باستمرار لعل أبرز الأمثلة استغلال تمرير المؤن إلى الجيش الثالث الميداني المصري عام ١٩٧٣ تفاوضاً ودعائياً لتحطيم معنويات المصريين ورفع معنويات الإسرائيليين، كما يقدم حصار كنيسة المهد في إبريل ٢٠٠٢ والاستغلال التفاوضي لحاجة المحاصرين إلى الماء والطعام مثالا أخر.

٣-إثارة الأزمات – المعيشية أو الاجتماعية – داخل المجتمع بواسطة تلفيق الأخبار وترويج شائعات وفق جدول زمني مدروس فمن خلالها يتم: -

أ – التلاعب بمشاعر الأفراد وأحاسيسهم وتوجهاتهم.

ب – رصد ردود أفعالهم وتحليلها للتعرف على قوة الجبهة الداخلية وتماسكها (من هنا تسمى "بالونات اختبار").

DO NOT COPY

ج – صرف الانتباه نحو قضايا أقل أهمية (من هنا اختيار توقيت إطلاقها، واعتادت الساحة الإسلامية إثارة قضايا جانبية بقصد صرف الأنظار عن وضع ما.

د – إحداث بلبلة وفوضى نتيجة التشتيت الذهني الذي تسببه الشائعة.

والإشاعة ***rumar*** هي حكاية تتداولها الألسنة أو عبارة يتناقلها الأفراد وهى قابلة للتصديق دون وجود معايير مؤكدة لصدقها وتكتسب قوة انتشارها من مصدرين هما: - أهمية موضوعها – والغموض المصاحب لوقائعها نتيجة الروايات وتوتر المتلقين لها أو تعرضهم للإحباط (***Emery,et al ,*** ١٩٦٥: ٦٤).

لذا يتم البدء بنشر وقائع يثبت صدقها حتى يكتسب مصدرها المصداقية وثقة متلقيها (مستفيدا من خصائص المصدر الفعال كما كشفت عنها بحوث الاستمالة) فيصبح مصدره المفضل ومن ثم استغلال هذا كغطاء لترويج أكاذيب، وهكذا تفعل هيئات الأعلام اليهودية ضد العرب وكذلك الدعاية الأمريكية ضد معارضي السياسة الأمريكية.

والسؤال المهم هو لماذا يتقبل الجمهور الإشاعات ؟، ربما لأن: -

أ- الإشاعة في جزء منها إسقاط لاندفاعاتنا.

ب- يساعد تقبلها في تبرير بعض ما قمنا به من قبل.

ج- لدينا ميل تلقائي لملء الفجوات الناتجة عن نقص معرفتنا بالحدث موضوع الشائعة فنتقبلها لحاجتنا إلى الانسياق والغلق الادراكى.

د- الحرب موقف مشقة يفجر بدائية لدى الإنسان، ويعد تقبل الشائعة تنفسيا عن هذه النزعات (***Brown ,*** ١٩٦٩: ٨٦).

وترويج الشائعات يوظف نتائج تجارب نفسية تسمى "الإعادة المتسلسلة" والتي تثبت الميل التلقائي لدى البشر لإعادة بناء ما سمعوه (كما هو الحال الشائعة) أو شاهدوه عند تذكره، فحينما نتعرض لعدد من المنبهات – كرؤية وقائع حادث سير مثلا – فإننا لا نراها متفرقة بل ندركها على أنها تدخل في علاقات فيما بينها مكونة أبنية وفقاً لعدد من المبادئ الادراكية كالتقارب والتماثل، والأمر ذاته يحدث عندما نسمع خبراً أو رواية (شائعة)، فأية حدث أو خبر ندركه له وقائع أساسية تحتل بؤرة الشعور، وأخرى فرعية تقع في هامش الشعور، وعند استعادة الخبر أو الحدث تنسى غالبا وقائعه الفرعية ونتذكر الأساسية فقط، وفي هذه الحال تكون رؤيتنا للخبر منقوصة وغير متسقة، فنعمل على جعلها متكاملة ومتسقة فنملأ الثغرات بإضافات من عندنا بناء على اتساق هذه الإضافات مع الوقائع الأساسية التي نتذكرها، وهكذا يضيف الفرد ويحذف في روايته لحدث ما وفقا لمبدأ التنظيم الذاتي لما يتذكره عند نقل الخبر (احمد عكاشة، ١٩٨٢: ٢٧)، ويعكس هذا التنظيم رغبات الفرد – الراوى – وتوقعاته وآرائه وانطباعاته عن أطراف الحدث الذي يرويه، إذ تظهر الدراسات أن الأفراد يتذكرون في العادة النقاط المنسجمة مع آرائهم ويتناسون تلك التي تتعارض معها، هذا ما كشفت عنه تجارب الإعادة المتسلسلة والتي كان يروى فيها المجرب قصة للشخص (أ) الذي يحكيها بدوره للشخص (ب) وهو كذلك يذكرها للشخص (ج)... وهكذا دواليك حتى تعود الحكاية إلى المجرب مرة أخرى بعد سلسلة من الا عادات، وتدل النتائج أنه حتى في ظل العدد المحدود من الإعادة (خمس مرات في التجربة) تصبح القصة مشوهة إلى حد كبير وتصبح روايتها فقيرة مختصرة وجملها قصيرة وأكثر عمومية وأقل دقة (خصائص الشائعة) وتزداد الأخطاء نتيجة الخطط وتبديل الإطار الزماني والمكاني وتغيير الأسماء والتواريخ (كلنبرج، ١٩٦٧: ٣١١ – ٣١٢).

وهذا ما يحدث تماما في حال إطلاق الشائعات وما يتبعها من إعادة متسلسلة يترتب عليها الحذف والإضافة مما يغير في محتواها ويسبب الخلط، والذي يطلق الإشاعة يعي هذا المبدأ وتلك الكيفية ويوظفهما لإحداث البلبلة والارتباك بين فئات الشعب.

DO NOT COPY

٤- إذاعة أفكار منحرفة (تعارض العرف السائد في المجتمع) لضرب تماسك المجتمع وخلق حالة من التنافر بين شرائحه (مثل: تنوير يون وظلاميون) تكون بذرة لصراع يتصاعد ويقدم أرضاً خصبة لمحاولات العدو ليس إضعاف المجتمع فحسب بل تفتيته، وكذلك ترويج عادات مرزوله ومرضية كتعاطي المخدرات، فقد استخدمته بريطانيا قبل أكثر من قرن للتحكم في الصين فيما سمي "حرب الأفيون"، وقدمت أمريكا مساعداتها – في الربع الأول من القرن العشرين – إلى الصين في مكافحتها لتعاطي الأفيون وتناقله.

إضعافاً لمركز بريطانيا، مثال أخر لاستخدام المخدرات كسلاح يتمثل في كم ما يضبط منها بمنطقة سيناء مصر مما يشير إلى سعى إسرائيل إضعاف المصريين من خلال تهريب المخدرات وترويجا بينهم، يؤيد هذا شهادة ثمانية ضباط إسرائيليين تكشف أن الجيش الإسرائيلي قام وعلى مدى عشرين عاماً متواصلة بحملات ترويج الحشيش في مصر.

وتعد المخدرات وسيلة لتحقيق هدف مزدوج، فهي من ناحية تضعف قوة الخصم نتيجة تأثيرها الضار بجسم وذهن وإرادة المتعاطين لها كما تهدد الأمن الاجتماعي إذ تأمين الحصول على المخدر يعد الباعث الأول لارتكاب الجريمة (عرض البحوث التي تثبت ذلك: عبد المنعم شحاته، ١٩٩٨: ٨ – ١٢)، ومن ناحية أخرى تعد المخدرات مصدراً لتمويل القوة المروجة لها حيث النقود (لثروة) مصدر للقوة.

٥- وأن الذاكرة الإنسانية محدودة الوسع فان تزاحم التفاصيل يؤدى بها إلى النسيان، من حرص الدعاية على استدراج الرأي العام الإقليمي والعالمي إلى تفاصيل تصرف انتباهه عن القضية الأصلية أو الأساسية موضوع الصراع حتى تنسى، ولعل الوضع الفلسطيني نموذجا لاستغلال السياسة الصهيونية هذا المبدأ، فقد نجحت في تحويل الانتباه من فلسطين ١٩٤٨ إلى الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ إلى الوضع قبل ٢٠٠٠/٩/٢٨ إلى الوضع قبل ٢٠٠٢/٣/٢٩ إلى شرعية الرئيس عرفات: كذلك من قرار التقسيم إلى القرار ٢٤٢ إلى " كامب ديفيد " الأولى إلى " مدريد " ثم " أسلو " فشرم الشيخ

وتقرير " ميتشل " وخطة " تينت " وورقة " باول " ورؤية " بوش "... وهكذا.

هذه بعض المبادئ التي تقوم عليها الحرب النفسية، والتي يتعرض مسلمو اليوم لأكثر حملاتها مما أدى بهم إلى أن أصبحوا غثاء – بالرغم من كثرة عددهم وعتادهم – كغثاء السيل، وأن استعادة قوتهم – بعد ضعف – يقتضى فهم أسس الحرب النفسية حتى يمكنهم تجنب أثارها، ليس هذا فحسب، بل ورد الحملات إلى نحور أعدائهم

DO NOT COPY